محمود شلبي

الإنسان...
كما وصفه القرآن

الإنسان
كما وصفه القرآن

محمود شلبي

١٤٤٧ هـ – ٢٠٢٦ م

الإهـــــداء

اللهم منك وإليك

محمود شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ... والصلاة والسلام ... على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين ...

وبعد ...

فلا شيء يشغل الإنسان أكثر من نفسه ... فهو يريد أن يعرف كل شيء عن تركيبه الظاهر والباطن ... الجسد والروح ...

ولقد حاول الإنسان على مر القرون أن يفسر: ما هو الإنسان ؟!

إلا أنه لم يجد جوابا شافيا على سؤاله ... اللهم إلا آراء متناقضة يبطل بعضها بعضا !!!

فكيف السبيل إلى العثور على الإجابة الصحيحة على السؤال الخالد: ما هو الإنسان ؟!

السبيل أن نسمع، وننصت إلى ما جاء في القرآن العظيم ... في وصف الإنسان ...

لأن القرآن الكريم ... كلام الله المجيد ... لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ...

فإذا وصف القرآن الإنسان ... فقد جاء الصدق ﴿...**مَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا**﴾ ؟!

وهذا الكتاب يدور في هذه الدائرة : ماذا قال القرآن عن الإنسان ؟!

ولقد تتبعت كلمة "الإنسان" في القرآن العظيم ...

كلما عثرت على آيه فيها كلمة "الإنسان" ... أنما وجدت كنزًا خيرًا من الدنيا وما فيها ..

وأفردت لها بابا مستقلا من الكتاب ... وذكرت ما جاء في تفسيرها ...

ثم ما مَنَّ الله تعالى عليّ من أنوارها !!!

فجاء الكتاب بحمد الله شيئًا جديدًا ... ومنهاجًا فريدًا ...

فإذا قرأ القاريء الكتاب ... خرج منه بفكرة جامعة في وصف الإنسان ... كما جاء في القرآن ...

وما منا إلا وهو إنسان ... من هذه البشرية المبثوثة فوق الأرض ... فإذا علم القاريء وصف الإنسان في القرآن ... فقد علم وصف نفسه كما ورد في القرآن !!!

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ !!!

القاهرة — الروضة

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

محمود شلبي

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا *
إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا *
وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا [1] ﴾؟!

(١) سورة المعارج ١٩ إلى ٢١ .

في هذه الآيات الثلاث يبين الله تعالى لكل الناس ... لكل ذكرٍ أو أنثى ... أيا ما كان الإنسان ... في كل زمان ومكان ...

فالآيات خطاب لجميع بني آدم ... أن اعلموا أن هذه حقيقة تركيبكم أيها الناس ...

﴿ **إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ** ﴾ كل إنسان.

﴿ **خُلِقَ هَلُوعًا** ﴾ ثم فسره تعالى بقوله: ﴿**إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا** ﴾ أي إذا مسه الضر فزع، وجزع، وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير.

﴿**وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا** ﴾ أي إذا حصلت له نعمة من الله، بخل بها على غيره، ومنع حق الله تعالى فيها.

قال الإمام أحمد ... عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: « شر ما في رجل: شُحٌّ هالع، وجبُنٌ خالع » .

ثم قال تعالى: ﴿**إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ** ﴾ [المعارج:٢٢] أي الإنسان من حيث هو متصف بصفات، الذم إلا من عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير، ويسر له أسبابه، وهم المصلون.

﴿ **ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ** ﴾ [المعارج:٢٣] قيل معناه: يحافظون على أوقاتها وواجباتها ... إلى آخره[١].

ثم أقول: مكنون في الآيات إعجاز عجيب !!!

فضلاً عن إحكام بديع... كأنه يراد أن يقال: أنصتوا جميعًا ... هذا هو تركيبكم !!!

فإذا ما سأل إنسان: كيف أرقى رغم وجود هذه العوائق في تركيبي ؟!

جاءه الجواب: ﴿ **إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ * وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ *

---

(١) من تفسير ابن كثير .

لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ * وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ [المَعَارِج : ٢٢ - ٣٥]

ثم أقول: كأن الجواب: أيها الإنسان ... ذكورًا وإناثًا ...

من أراد أن يرقى منكم، فهذا هو سبيل الترقى !!!

والله أعلم

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ
فِي كَبَدٍ (١)﴾؟!

(١) سورة البَلَد : ٤.

هذه هي الآية الرابعة من سورة البلد ...

وها هي السورة ... مع تفسيرها مختصرًا ... لنستطيع بإذن الله إدراك شيء من جمال قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ**﴾ !!!

﴿ **أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ** ﴾ مكة.

﴿ **وَأَنتَ** ﴾ يا محمد .

﴿ **بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ** ﴾ بأن يحل لك فتقاتل فيه، وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح.

﴿ **وَوَالِدٍ** ﴾ أي آدم.

﴿ **وَمَا وَلَدَ** ﴾ أي ذريته. وما بمعنى من.

﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ** ﴾ أي الجنس.

﴿ **فِى كَبَدٍ** ﴾ نصب وشدة، يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

﴿**أَيَحْسَبُ** ﴾ أيظن الإنسان. قوى قريش وهو أبو الأشد بن كلدة بقوته.

﴿ **أَن** ﴾ أي أنه.

﴿ **لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ** ﴾ والله قادر عليه.

﴿**يَقُولُ أَهْلَكْتُ** ﴾ على عداوة محمد.

﴿ **مَالًا لُّبَدًا** ﴾ كثيرا، بعضه على بعض.

﴿ **أَيَحْسَبُ أَن** ﴾ أي أنه.

﴿ **لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ** ﴾ فيما أنفقه فيعلم قدره، والله عالم بقدره، وأنه ليس مما يتكثر به، ومجازيه على فعله السيء.

﴿ **أَلَمْ نَجْعَل** ﴾ إستفهام تقرير، أي جعلنا.

﴿ **لَّهُۥ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ** ﴾

﴿**وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ** ﴾ بينا له طريق الخير والشر.

﴿ **فَلَا** ﴾ فهلا.

﴿ **ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ** ﴾ جاوزها.

﴿ **وَمَآ أَدْرَىٰكَ** ﴾ أعلمك.

﴿ **مَا ٱلْعَقَبَةُ** ﴾ التي يقتحمها، تعظيمًا لشأنها.

﴿ **فَكُّ رَقَبَةٍ** ﴾ من الرق بأن أعتقها.

﴿ **أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ** ﴾ مجاعة.

﴿**يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ** ﴾ قرابة.

﴿**أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ** ﴾ لصوق بالتراب لفقره.

﴿**ثُمَّ كَانَ**﴾ كان وقت الاقتحام.

﴿ **مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ**﴾ أوصى بعضهم بعضا.

﴿ **بِٱلصَّبْرِ** ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

﴿ **وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ** ﴾ الرحمة على الخلق.

﴿**أُوْلَٰٓئِكَ** ﴾ الموصوفون بهذه الصفات.

﴿ **أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ** ﴾ اليمين.

﴿**وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ** ﴾ الشمال.

﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ مطبقة.

[سورة البلد : ٢٠]

ونزداد تنويرًا، وإدراكًا لجمال الآيات ... بإضافة مختارات مما قال الإمام ابن كثير في تفسيره ... قال: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ في شدة، وطلب معيشة ... واختار ابن جرير أن المراد بذلك مكابدة الأمور ومشاقها .

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ يظن أن لن يسأل عن هذا المال، من أين اكتسبه؟ وأين أنفقه؟

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴾ أي كثيرًا .

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ أي أيحسب أن لم يره الله عز وجل؟

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ أي أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير؟

﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ ... وفي الحديث: « ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوًا منه من النار ... » – رواه أحمد –

﴿ ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ أي ذا قرابة منه، جاء في الحديث الذي رواه أحمد ... عن سلمان بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان، صدقة وصلة » .

وقد رواه الترمذي والنسائي، وهذا إسناد صحيح.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ أي فقيرا مدقعًا لاصقًا بالتراب.

قال ابن عباس: ذا متربة: هو المطروح في الطريق الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من

التراب[1] .

وقال ابن عباس وسعيد وقتادة ومقاتل بن حيان: هوذ والعيال.

وكل هذه قريبة المعنى.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبه، محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل.

﴿تَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ أي كان من المؤمنين العاملين صالحًا، والمتواصين بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم.

كما جاء في الحديث: « الراحمون يرحمهم الرحمن » [أخرجه أبو داود، والترمذي،وأحمد].

إلى آخر ما أبدع ابن كثير ... رحمه الله.

...

وبسم الله أقول:

سورة جميلة ... جميلة ... جميلة ... سطور قليلة ... ولكن تتموج منها بحار ... موج من فوقه موج ...

يمكنك أن تضع جميع الناس من آدم إلى قيام الساعة في هذه السورة ... وهذا وجه واحد من وجوه الإعجاز فيها !!!

رتل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ ...

تجد نفسك مذكورًا في هذه الآية ... بل كل إنسان ورد ذكره فيها !!!

---

(١) بلغه اليوم: أطفال الشوارع، الذين يهيمون في الطرقات لا مأوى لهم، وهم ملايين في جميع أنحاء العالم !!!

وهذه إحدى صفات بركات كلام الرحمن الرحيم سبحانه ...

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] !!!

نعم ... نعم ... نعم ...

وتجد صفة الامتداد هذه واضحة في الآية وضوحًا عجبا !!!

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ جنس الإنسان ... ذكورًا وإناثا ... شيوخًا وشبابًا ... جنينا ومولودا ...

تجد ذلك مكنونا في قوله ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ ؟!!

هل أفلت أحد من الناس من شمولية هذه الآية؟!!

فأنت إما والد وإما مولود !!!

ودخلت البشرية كلها في قوله ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ !!!

وقد جاء ذكرها، ويأتي بعدها مباشرة ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ !!!

﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾[الكهف: ٤٩] ؟!!

اقرأ معي هاتين: ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ إحكام عجيب !!!

الآيتان تتلازمان وتشيران إلى أن كل إنسان كان مولودًا ثم والدًا إذا شاء الله ...

والناتج من هذا ... كائن اسمه الإنسان ...

جعلناه يكابد المشاق منذ كان نطفة ... إلى آخر لحظة من حياته ؟!

لماذا هذا ؟! ؛ لأن صلاح هذا الكائن أن يكون هكذا ... في مشقة ... في شدة ...

لماذا هذا ؟!

والله يقدر أن يجعل جميع الناس أصحاء، وأغنياء ... لا مشاكل في حياتهم ؟!!

نعم، يقدر الله على ذلك ... ولكن يتحول الناس إلى تنابلة ...

بُلْه ... قد تعطلت صفاتهم العليا، واستيقظت صفاتهم السفلى !!!

هل هذا صحيح ؟!

بل هو عين الصحيح ... ومن كان في شك فلينظر ماذا يفعل الترف في أكثر المترفين؟!

يحولهم إلى مفسدين في الأرض ... يتابعون تحقيق شهواتهم ...

ويتلذذون بالاستعلاء على الضعفاء ... والاستكبار عن الحق ...

بل ويتحولون إلى قوى مضادة للحق أينما كان ...

﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا** ﴾ [الأَنْعَام : ١١٢]

﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾**﴾ [سَبَإ : ٣٤]

هل هي دعوة إلى الفقر؟!

كلا... فإن غريزة حب المال أصيلة في الإنسان ... جامحة تدفعه دفعا إلى جمعه، واكتنازه.

وإنما نتحدث عن حكمه ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ** ﴾ خلق الإنسان في مكابدة دائمة في جميع ظروفه.

هو يكابد في المحافظة على صحته ... فينشأ الطب والأطباء والصيدليات، وتتقدم علوم لا حصر لها ... ولو لا مكابدة الأمراض ما كان شيء من هذا !!!

ويكابد الفقر والحاجة ... فهو يكابد ليجمع رزقه ... ويكافح من يحول بينه وبين رفع مستواه ...

فينشأ الاقتصاد ... والمذاهب الاقتصادية ... والتنافس بين الدول والأفراد ... كل يريد أن يتفوق على غيره ... وفي ذلك من العلوم والخبرات ما لا حصر له !!!

ويكابد الحب والميل إلى الجنس الآخر ... يحركه إلى ذلك غريزة لا تقاوم، فالشباب يتدافع إلى الفتيات ... والفتيات تتدلل على الشبان ... أيهم أقدر على إعاشتها عيشة راقية ؟..

فينشأ من ذلك فنون لا حصر لها ... من الموسيقى ... والتصوير ... والنحت ... والغناء...

كل شاب ... كل إنسان يكابد ... يكافح ليثبت وجوده، ويجتذب الأنثى التي يحبها...

وكل فتاة تحاول أن تلفت نظر من تهوى ... بأفانين من العرض ... فينشأ من ذلك عروض الأزياء ... وأسواق تهتز بالملابس الجاهزة والمغرية، وما يستتبع ذلك من صناعات ... لا حصر لها !!!

وخلق الإنسان في مكابدة دائمة ... في كفاح مستمر للحفاظ على عقائده ...، وهذا يستلزم تربية، وتعليم، والارتقاء بمواهبة ... فتنشأ أجهزة جبارة للتعليم والتربية ... وهكذا...

لو ذهبنا نستقصى ما ينشأ من ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾... لاحتجنا إلى مجلدات لا حصر لها !!!

وخلاصة القول ... أن خلق الإنسان في كبد ... هو سر نمو مواهبه كلها ... عقلية أو عاطفية أو دينية ...

بل خلق الله أعضاء جسم الإنسان لتقوى باستعمالها ... وتضمر بعدم استعمالها !!!

فالكادح يقوى وينعم بالصحة، والذكاء، والذهن المتوقد ... والمترف الكسول تضمر أعضاؤه، وتضمحل حتى يصاب بالتبلد !!!

فيتحول إلى تيس يأكل، ويشرب، وينكح ... ويبحث عن سهرة حمراء يفرغ فيها شهواته!!!

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشُّورَى : ٢٧].

أما عجائب آيات السورة فليس هاهنا مجالها ... وإلا لاستلزم الأمر لنفهم شيئا عن قوله سبحانه مثلا: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ ... لاستلزم أن نجمع جميع علماء طب العيون ... ليشرحوا لنا عجائب جهاز البصر في الإنسان ... فلنترك الأمر لأهله.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ(١)﴾؟!

(١) سورة العاديات: ٦.

قال عز وجل: ﴿ **إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ** ﴾ [العَادِيَات : ٦ - ٨]

...

وجاء في التفسير مختصرا: ﴿ **إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ** ﴾ بمعنى أنه لنعم ربه لكفور جحود.

قال الحسن: الكنود هو الذي يعد المصائب، وينسى نعم الله عليه.

﴿ **وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ** ﴾ يحمل أن يعود الضمير على الإنسان، فيكون تقديره: وإن الإنسان على كونه كنودا لشهيد، أي بلسان حاله، أي ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله.

﴿ **وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ** ﴾ أي وإنه لحب الخيرَ وهو المالِ لشديد.

وفيه مذهبان: (أحدهما) أن المعنى: وإنه لشديد المحبة للمال، (والثاني): وإنه لحريص بخيل من محبة المال، وكلاهما صحيح.

...

ثم أقول:

كل إنسان مكنون فيه هذه الصفات الثلاث !!!

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ !!!

وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ !!!

وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ !!!

شيء عجيب هذه الصفات المكنونة في تركيب كل إنسان !!!

وقد يحاول بعض الناس التبرؤ من هذه الصفات، فيزعم زعما أنه ليس جاحدًا لأنعم الله ... أو أن تصرفاته لا تشهد بذلك ... أو أنه ليس شديد الحب للمال !!!

وكذبوا ... فما من إنسان إلا ومخبأ في تركيبه تلك الصفات ... وإنما بنسبة تتفاوت من إنسان إلى إنسان ...

فتارة تكون هذه الصفات كلها أو بعضها حادة ... وتارة تكون متوسطة ... وتارة تكون ضئيلة ... والناس يتذبذبون من أعلاها إلى أدناها ... ولكنهم كلهم ذائقون...

ومن اختلاف هذه النسب ينشأ التصارع، والتضاد، والمشاكل، والمكر !!!

عجبًا ... نواميس جبارة ... هدارة ... فوارة ... تريد أن تتدافع، وتتفجر، ونظهر في عالم الواقع ... ﴿ **وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ** ﴾ !!! فيها إشارة إلى ذلك ... تصرفات كل إنسان تشهد عليه ... وعلى نسبة جحوده لأنعم الله عليه ... وعلى نسبة حبه للمال في تكوينه ... ﴿ **وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ** ﴾ ... وهذه الشدة تتفاوت من إنسان إلى إنسان ... ومن دولة إلى دولة ... ومن مجتمع إلى مجتمع ...

فكل ظروف لها مطالب مادية ... لها حاجة معينة إلى المال ... وهذا يؤثر على تصرفات الشخص حتما !!!

فإذا كانت هذه الصفات خامدة في كل إنسان ... تريد أن يسمح لها بالخروج في تصرفاته ... فإذا خرجت دمرت ... وفجرت ... وعربدت ... وظلمت، وأفسدت !!!

فما هو العلاج ؟!

العلاج الحاسم الذي لا يصح سواه ... هو تنفيذ ما أمر الله ... والبعد عما نهى عنه الله .

وحين يطيع الإنسان ربه يحدث التحول في هذه الصفات ...

فصفة ﴿ **إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ** ﴾... تتحول إلى إنسان لربه شكور ... شاكرًا لأنعمه ...

فإذا أنعم الله عليه نعمة ... بادر إلى شكر المنعم سبحانه !!!

« **أفلا أكون عبدًا شكورًا** » !!!

وصفة ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ ... تتحول إلى تصرفات حسنة صالحة يرضاها الله ...، وتشهد على صلاحه وتقواه !!!

وصفة ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ... تتحول إلى حب للخير معقول ... يكفي لتحريك الحياة ... والنشاط فيها نشاطا محمودا ... ليكسب رزقه، ولا يكون عالة على من سواه ... أما إذا ترك هذه الصفة تتفجر بلا قيود من الشريعة فإنها تتحول إلى طغيان ... واللامبالاه من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟!!

فيتحول صاحبها إلى شرير عربيد يبحث عن إشباع شهواته، ولا يبالي أن يسحق غيره ليرتفع على أشلائه !!!

والمؤسف أن أكثر الناس ﴿ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ... نطق بذلك القرآن العزيز في موضع آخر ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفَجْر : ٢٠]!!!

فالصفات الثلاث مكنونة كامنة خامدة فيك ... فإياك أن تغلبك، وتتفكك منك ... فتتحول إلى عربيد لحب المال لشديد !!!

وإنما نجاتك من شرورها ... أن تتأدب وتنتظم على ما أمرك الله ... ولذلك جاء بعد هذه الآيات الثلاث مباشرة: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العَادِيَات : ٩ - ١١]

...

أي: يا أيها الإنسان ... انظر ماذا تفعل؟ ... وراجع نفسك ... قبل فوات الأوان ...

فأنت قادم على حساب تسأل فيه عن آثامك !!!

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ
أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ
ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا (١) ﴾؟!

(١) سورة النساء: ٢٨.

آية؟!.. يالها من آية !!!

الله –ﷻ– ... يخبرنا أنه يريد أن يخفف عنا ... فيالها من بشرى تهش لها الأفئدة !!!

إليك الآية الجميلة الجليلة ... مع تفسيرها تفسيرا ميسورا ...

﴿ **يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ** ﴾ شرائع دينكم، ومصالح أمركم.

﴿ **وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ** ﴾ طرائق .

﴿ **ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ** ﴾ من الأنبياء في التحليل، والتحريم فتتبعوهم.

﴿ **وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ** ﴾ يرجع بكم عن معصيته التي كنتم عليها إلى طاعته.

﴿ **وَٱللَّهُ عَلِيمٌ** ﴾ بكم.

﴿ **حَكِيمٌ** ﴾ فيما دبره لكم.

﴿ **وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ** ﴾ كرره ليبني عليه.

﴿ **وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ** ﴾ اليهود والنصارى، أو المجوس، أو الزناة.

﴿ **أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا** ﴾ تعدلوا عن الحق بإرتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم.

﴿ **يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ** ﴾ يسهل عليكم أحكام الشرع.

﴿ **وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا** ﴾ لا يصبر عن النساء والشهوات ... إلى آخر ما قال الإمام السيوطي ... [سورة النساء ٢٦ – ٢٨].

...

ومن تفسير ابن كثير نلتقط هذه الإضافات:

﴿**يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ** ﴾ أي في شرائعه، وأوامره، ونواهيه، وما يقدره لكم

قال مجاهد، وغيره: ﴿ **وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا** ﴾ فناسبه التخفيف لضعفه في نفسه، وضعف عزمه وهمته.

عن ابن طاوس عن أبيه: ﴿ **وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا** ﴾ أي: في أمر النساء.

وقال وكيع: يذهب عقله عندهن.

وقال موسى الكليم -عليه السلام- لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- ليلة الإسراء حين مر عليه راجعا من عند سدرة المنتهى، فقال له: ماذا فرض عليكم؟

فقال أمرني بخمسين صلاة في كل يوم وليلة. فقال له: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك، فإني قد بلوت الناس قبلك على ما هو أقل من ذلك فعجزوا، وإن أمتك أضعف أسماعا وأبصارا وقلوبا. فرجع فوضع عشرا. ثم رجع إلى موسى فلم يزل كذلك، (حتى) بقيت خمسا . — الحديث —

...

ثم أقول:

إن من أعظم نعم الله على الانسان نعمة التخفيف ...

وها هنا إشارة عميقة لمن يتفكر، في قوله تعالى: « يريد الله » ثلاث مرات في سياق الآيات ... وإرادة الله تعالى حتمية الوقوع والتحقق ...

ومعنى هذا أن الله سوف يخفف عنكم حتما ...

انظر تكرار « إرادة الله » ثلاث مرات ؟!

﴿ **يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ** ﴾؟!

﴿ **وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ** ﴾؟!

﴿ **يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ** ﴾؟!

ها هنا تأكيد حتمية وقوع هذه الثلاث ...

لِيُبَيِّنَ لَكُمْ - أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ - يُخَفِّفَ عَنكُمْ؟!

وهذه الثلاث تسري في كل تكليف شرعه الله للإنسان ...

أولاً: يبين للإنسان ما يفعل، وما لا يفعل ...

ثانيًا: وذلك ليتوب الإنسان، ويرجع إلى ربه.

ثالثًا: وذلك تخفيفًا عن الإنسان ...

لماذا إرادة التخفيف ؟؛ لأن الإنسان خلق ضعيفًا ... يضعف أمام إغراء الشهوات !!!

فما أعظم نعمة التخفيف! ... ولولاها لهلك الإنسان ... وعجز عن أداء التكاليف ...

﴿ **رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ** ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦].

﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ
لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ[1]﴾؟!

(١) سورة القيامة: ٥.

في قوله -ﷻ-: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ... سر جميل ... يكشف حقيقة مخبوءة في الإنسان تخفى على الكثير ... وإنما يعلمها الله -تعالى- الذي يعلم السر وأخفى ...

وقبل أن ندخل إلى هذه الحقيقة نذكر شيئا عن تفسير الآية؛ وذلك خلال تفسير ما سبقها من آيات ...

قال الإمام السيوطي:

﴿ لَآ ﴾ زائدة في الموضعين.

﴿ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ التي تلوم نفسها، وإن اجتهدت في الإحسان، وجواب القسم محذوف، أي: لتبعثن. دل عليه:

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ أي: الكافر.

﴿ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ للبعث، والإحياء.

﴿ بَلَىٰ ﴾ نجمعها.

﴿ قَٰدِرِينَ ﴾ مع جمعها.

﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ وهما الأصابع. أي: نعيد عظامها كما كانت مع صغرها، فكيف بالكبيرة؟

﴿ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ ﴾ أي: أن يكذب.

﴿ أَمَامَهُۥ ﴾ أي يوم القيامة. دل عليه.

﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ ﴾ متى.

﴿ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ سؤال استهزاء وتكذيب.

[سورة القيامة – الآيات إلى ٦]

إلى آخر ما قال الإمام في تفسير سورة القيامة.

ولكن ماذا عن الامام ابن كثير ... من إضافات رائعات الحسن جميلات ؟!

نلتقط منها: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ * وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ أقسم بهما جميعا ...

فأما يوم القيامة فمعروف.

وأما النفس اللوامة ... عن الحسن البصري في هذه الآية: إنّ المؤمن –والله– ما نراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي؟، وما أردت بأكلتي؟، وما أردت بحديث نفسي؟، وإن الفاجر يمضي قدما قدما ما يعاتب نفسه.

عن سماك أنه سأل عكرمة عن قوله ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾؟ قال: يلوم على الخير والشر، لو فعلت كذا وكذا؟

وعن مجاهد: تندم على ما فات وتلوم عليه.

وعن ابن عباس: اللوامة: المذمومة.

وقال قتادة: اللوامة: الفاجرة.

وقال ابن جرير: وكل هذه الأقوال متقاربة المعنى، والأشبه بظاهر التزيل: أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات.

وقوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ ؟ أي: يوم القيامة. أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة؟!

﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ أي: أيظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه ؟! بلى سنجمعها، قادرين على أن نسوي بنانه، أي قدرتنا صالحة لجمعها[1].

وقوله ﴿ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴾، ليمضي أمامه راكبًا رأسه.

---

(١) لو أدرك قدامى المفسرين بصمات الأصابع، وأن كل إنسان تختلف بصماته عن الآخر ... لانفتحت لهم في قوله ﴿ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ آفاق رائعة في خلق الأصابع واختف بصماتها مهما تعدد أعدادها !!!

وقال الحسن: لا تلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قدما قدما، إلا من عصمه الله تعالى.

وروى عن عكرمه، وغيره ... هو الذي يعجل الذنوب، ويسوف التوبة.

وعن ابن عباس: هو الكافر يكذب بيوم الحساب.

وكذا قال ابن زيد: وهذا هو الأظهر من المراد، ولهذا قال بعده ﴿ **يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ** ﴾؟!

أي يقول: متى يكون يوم القيامة؟ وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده...

إلى آخر ما قال الإمام في تفسير سورة القيامة.

...

والآن نطرح السؤال: ما هو السر المخبوء في تكوين الإنسان ... وتكشف عنه آية: ﴿ **بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ** ﴾ ؟!

بل حقيقة أكثر جنس الإنسان أنه يريد أن يفجر ... أن يعربد أمامه ... مستقبلا ... فيما هو آت من أيام حياته...

وإنما منعه عن ذلك ظروف أعجزته عن تحقيق ما يريد من الفجور ...

فإذا توافرت له الظروف التي تمكنه من تنفيذ فجوره ... فجر، وطغى، وعربد ... بل وكفر، وذهب يكذب بيوم القيامة ...، ويسخر من اعتقادها ... أيان يوم القيامة ؟!...

وما كفر وكذب بيوم الحساب ... إلا لأنه يريد أن يفجر أمامه ... أن يفجر في الأيام القادمة من حياته فكذب بيوم القيامة ...؛ لأنه يريد أن يفعل ما شاء ... وألا يسأله أحد عما فعل !!!

وهذا الفجور مكنون في تركيب الإنسان ...

وتشعله الشهوات السارية في تركيبه ...

ويريد الإنسان أن يفجر ... أن يخرج من قيوده ... ومن حدود الشريعة التي تحرم عليه البغي والطغيان والزنا وجمع المال مما هب ودب ... من الحرام.

يريد أن يتفكك من قيده لينطلق كيف يشاء ...

لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ؟!!

في الآية إعجاز يعجز العقول ...، ويبهر الصدور !!!

لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ؟!!

إرادة تريد أن تخرج لتفجر في أيامه القادمة !!!

فإذا كان هذا هو الداء فما هو الدواء ؟!!

الدواء هو القبض على هذا الوحش الكاسر المتمدد في كيانك الذي يريد أن يثب ليعربد ... ليفجر ... العلاج هو ترهيبه بعذاب بئيس ... لينكمش، ويلزم حدوده...

بدلاً من إطلاق هذا الوحش العربيد ليزعم ألا قيامة هناك ...، ولا سؤال عن إجرامه ... ؛ ولذلك كان من ختام السورة الكريمة: ﴿ **كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ * وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ * فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ * وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ * أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ * أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى** ﴾ [القِيَامَة : ٢٦ - ٣٦].

انظر وتفكر ...

﴿ **ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ** ﴾ ؟!

أي: يتبختر مختال فخورا معجبا بنفسه وإجرامه ؟!!

﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ[1] ﴾؟!

(١) سورة النجم: ٢٤.

قال تعالى: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ * فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ [النَّجْم : ٢٤ - ٢٥]

...

وقال ابن كثير: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ أي ليس كل من تمنى خيرًا حصل له (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب).

ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال، ولا كل من ود شيئا يحصل له.

قال الإمام أحمد ... عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: « إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى فإنه لا يدري ما يكتب له من أمنيته » ... تفرد به أحمد.

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ الدنيا ... أي إنما الأمر كله لله، مالك الدنيا والآخرة، والمتصرف في الدنيا والآخرة.

فهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

...

ثم أقول: في قوله تعالى ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ تهذيب لشطحات الإنسان ...؛ لأن خيال الإنسان يذهب بعيدا ... فيتصور أن يكون كذا وكذا ... أو أن يقع كذا وكذا ...

ويجد الإنسان في هذا الخيال لذة، ومتعة فيسترسل في خياله ...، ويتمنى المستحيل ...، ولا يقنع بالقليل ...

فما على أي صعلوك يريد أن يكون ملكا إلا أن يتمنى في خياله أنه صار ملكا يتيه في الأرض، ويختال !!!

وما على الفتاة التي تريد أن تكون زوجة لملك من الملوك ... إلا أن تتمنى أنها صارت ملكة جمال العالم ... أو ملكة تحكم دولة ما !!!

وهذه الأوهام تدخل في منطقة الخيال، وما أوسع خيال الإنسان !!!

فالآية الكريمة تعلم الناس أن ليس للإنسان ما تمنى ...

لماذا ؟!

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ لسبب بسيط .. أن لله وحده التصرف في أمور الآخرة وأمور الدنيا

فمهما يتمنى الإنسان ... فإنه لا يتحقق من أمانيه إلا ما شاء الله تعالى ...؛ لأن صلاح شئون الدنيا أن تسير حسبما قدر الله لها ... حسبما (خطط) للدنيا والآخرة..؛ لأن الله تعالى قدر الحياتين على أنهما موضوع واحد ...

فإذا فكرت في الدنيا وحدها منفصلة عن الآخرة ... فقد أخطأت وضللت ...؛ لأن الدنيا حلقة من القصة ...، ولا معنى لها إذا فصلتها عن الآخرة ... ؛ لذلك قال: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ فلله تقدير شئون الآخرة مرتبطة بالدنيا ...

وإذا فكرت في الآخرة وحدها منفصلة عن الدنيا ... أخطأت، وضللت ضلالا بعيدا ...

إذ لا معنى للآخرة بالنسبة لك إذا نظرت إليها على أنها موضوع منفصل عن الدنيا ...

فإنها تبدو غير مفهومة ... ولكن إذا فكرت في الآخرة، على أنها ثمرة للدنيا ...، ومرتبطة بالدنيا أدركت جمال تخطيط الآخرة ...

إما جنة أبدًا لمن أحسن ...، وإما نار أبدًا لمن كفر !!!

قدر الله – أو بمفهوم الحياة الحديثة – (خطط) الحياتين ... الأولى والآخرة ... على أنهما قصة واحدة ... مرتبطتان معا ... تترتب الآخرة على الدنيا ...، وتترتب الدنيا على الآخرة ...

فلما أنكر المنكرون الآخرة، وقالوا من جهلهم ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المُؤْمِنُون : ٣٧].

أي: ما القصة إلا هذه الحياة الدنيا ... وقعوا في ورطة خبيثة ...، وضلالة بعيدة ...، وشقاء شديد ...

إذ لو أن الأمر كما يقولون: إن هي إلا حياتنا الدنيا ... فما معنى الحياة إذا كانت تنتهي بالموت، ويلقى الإنسان جيفة منتنة في قبره ...، ولا شيء وراء ذلك ؟!!

إن الحياة تصبح – بهذا المفهوم الدنيء – لا تساوي الاستمرار فيها ...، ولا حتى البصق عليها !!!

ولكن إذا أضيف إلى الحياة الدنيا ... مفهوم الآخرة ... أن الإنسان سوف يبعث حيًا ..، ويلقى ثوابه نعيما أبديا في جنات النعيم ... إذا أحسن في حياته الدنيا ...

بدت الحياة حينئذ – مع هذا المفهوم – جميلة جدا جدا ...

وتخطيطها رائع رائع ... فما هذه السنين التي يعيشها الإنسان في الحياة الدنيا إلا مرحلة بسيطة جدا بالنسبة إلى ما سوف يعيشه في حياته الآخرة.

وما قيمة سبعين سنة مثلا أعيشها هنا في الدنيا ثم أموت، وانتهي كأن لم أكن ؟!!

ولكن إذا كانت الحقيقة أني بعد موتي سوف أبعث حيًا ... لأواصل حياتي الأبدية في جنات النعيم ... بدت فكرة الحياة الدنيا فكرة جميلة جدا ... تبعث السعادة والسرور في أنحاء الصدور ...

قال تعالى: ﴿**وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ**﴾ [العَنكَبُوت : ٦٤]

﴿ **لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ** ﴾ بمعنى الحياة .. لهي الحياة بمعنى الحياة ... ، لأنها نعيم الأبد ... فأين حياة الدنيا بالنسبة إلى الحياة الآخرة.

﴿ **لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ** ﴾

ولكنهم يجهلون تلك الحقيقة، فلم يجدوا لحياتهم الدنيا معنى ...، وودوا لو تخلصوا منها ... إما انتحارًا يدفع إليه اليأس القاتل الذي يعيشه الكافر ...

وإما دمارًا يدفع إليه انكار فكرة الآخرة ... فيندفع الانسان إلى تدمير نفسه بالخمر والفساد، والإفساد ...

لكن الذين آمنوا آمنوا باليوم الآخر ... فاستقام تفكيرهم ... فاطمأنت نفوسهم ... فسعدوا في الدنيا ... ثم سعدوا في الآخرة !!!

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا (١) ﴾؟!

(١) سورة الاسراء: ١١.

قال تعالى: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسْرَاء : ١١].

...

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ ؟!

صفة مكنونة في كل انسان ... تظهر إذا فجرتها ظروف الحياة ... أو الدوافع النفسية من داخل الإنسان !!!

وقبل أن نسترسل في بيان هذه الصفة ... نذكر شيئا عن تفسير الآية ...

قال ابن كثير: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسْرَاء : ١١].

يخبر تعالى عن عجلة الإنسان، ودعائه في بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله بالشر، أي: بالموت أو الهلاك، والدمار، واللعنة، ونحو ذلك.

فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ [يُونُس : ١١].

وقد تقدم في الحديث: « لا تدعوا على أنفسكم، ولا على أموالكم، أن توافقوا من الله ساعة إجابة يستجيب فيها » [أخرجه مسلم].

وإنما يحمل ابن آدم على ذلك قلقه، وعجلته.

ولهذا قال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾.

وقد ذكر سلمان الفارسي، وابن عباس، ههنا قصة آدم – عليه السلام – حين هم بالنهوض قائما قبل أن تصل الروح إلى رجليه!

وذلك أنه جاءته النفخة من قبل رأسه، فلما وصلت إلى دماغه عطس فقال: الحمد لله، فقال الله: يرحمك ربك يا آدم.

فلما وصلت إلى عينيه فتحهما.

فلما سرت إلى أعضائه وجسده جعل ينظر إليه ويعجبه.

فهم بالنهوض قبل أن تصل إلى رجليه فلم يستطع، وقال: يارب عجل قبل الليل!

...

وأما الإمام السيوطي فقال في تفسير الآية:

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ ﴾ على نفسه، وأهله إذا ضجر.

﴿ دُعَآءَهُۥ ﴾ أي: كدعائه له.

﴿ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ الجنس.

﴿ عَجُولًا ﴾ بالدعاء على نفسه، وعدم النظر في عاقبته.

...

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ ؟!!

لماذا ؟!! ؛ لأن عمر الإنسان قصير جدًا بالنسبة إلى طموحاته، وما يتمنى !!!

كم يبلغ عمر الإنسان الطبيعي ؟!

ستون ... سبعون ... ثمانون سنة ... وقد يتوفى قبل ذلك ...

فما هذه السنون القليلة بالنسبة إلى أمانيه العريضة ؟!

كل إنسان قلق ... فالمؤمن قلق أن ينقضي عمره، ولم ينفذ ما يريد من طاعة الله !!!

والكافر قلق أن ينفذ عمره ... ولم يحقق ما يريد من جمع الأموال ...، ونهب الشهوات قبل أن يدهمه الكبر فلا يستطيع حراكا !!!

كلٌ قلق على مستقبله ... فأهل اليمين يتعجلون الطاعات ... ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذَّارِيَات : ٥٠]... ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البَقَرَة : ١٤٨]... ﴿ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ ... إلى آخر هذه الاشارات القرآنية ...

وأهل الشمال كذلك قلقون ... يريدون أن ينهبوا اللذات نهبا ... ويتلذذوا بشهواتهم إلى آخر مدى ...، لأنهم يعتقدون أن حياتهم هي هذه الأيام التي يعيشون في الدنيا ...، ولا شيء بعد ذلك ... فيجب أن يستمتعوا ما شاءوا قبل أن يموتوا !!!

فالإنسان ... كل إنسان ... إناثا وذكورا ... شبابا وشيوخا ... كلٌ يتعجل تحقيق ما يشاء وما يهوى !!!

وإنما كانت فطرة العجلة مكنونة في الإنسان لتدفعه دفعا ... وتحركه سريعا في شئون حياته

فتنشأ من ذلك ضجة الحياة الدنيا، وعجيجها ...، وتراهم سكارى، وما هم بسكارى، ولكن نشوة الشهوات تدفعهم أن يسارعوا إلى انتهابها !!!

قال تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأَنبِيَاء : ٣٧].

قال السيوطي في تفسيرها: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ أي أنه لكثره عجله في أحواله كأنه خلق منه.

﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي ﴾ مواعيدي بالعذاب.

﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ فيه، فأراهم القتل ببدر.

...

أقول التعجلة صفة أصيلة في الإنسان ... هي موتور الحياة، هي المحرك للنشاط البشري... فإذا استعملها الإنسان كما يحب الله ... في تحقيق الخير ... كانت خيرا وبركة ...

ولذلك كان توجيه القرآن ... أن يسارع الإنسان إلى كل خير ينفعه ...

يسارع إلى الإيمان ... إلى التوبة ... إلى الصلاة ... إلى الزكاة ... إلى الحج ... إلى الاستغفار ... إلى ذكر الله ... وبالجملة إلى كل خير أمر به الله ...

وكان الأنبياء في القمة من المسارعة إلى الخيرات ...

﴿ **إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ** ﴾ [الأَنبِيَاء : ٩٠].

ولو ذهبنا نحصي المشاهد التي تجلت فيها صفة المسارعة إلى الخير في الأنبياء والأولياء ... لعجز القلم عن إحصائها ...، لأنها صفة ملازمة لهم، وتسري في جميع أحوالهم ...

وإليك مشهدا فريدًا للنبي ﷺ؛ وقد تجلت في ذلك المشهد صفة المسارعة إلى الخير ... فكان مشهدًا كريما وعظيما ...

قال تعالى: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ** ﴾ [القِيَامَة : ١٦ - ١٩].

﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ** ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل منه.

﴿ **لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦ** ﴾ خوف أن ينفلت منك.

﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ** ﴾ في صدرك.

﴿ **وَقُرْءَانَهُۥ** ﴾ وقراءتك إياه، أي جريانه على لسانك.

﴿ **فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ** ﴾ عليك بقراءة جبريل.

﴿ **فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ** ﴾ استمع قراءته، فكان – ﷺ – يستمع ثم يقرؤه.

﴿ **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ** ﴾ بالتفهيم لك.

والمناسبة بين هذه الآية، وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها ... إلى آخره.

...

خلاصة القول أن صفة العجلة في الإنسان صفة محمودة إذا كانت مسارعة إلى ما يحبه الله سبحانه ويرضاه ...

والعكس صحيح فهي صفة مذمومة إذا كانت مسارعة إلى شيء لا يحبه الله، ولا يرضاه ... أي: مسارعة إلى المعاصي والشرور ...

نسأل الله العلي القدير ... أن يهدينا إلى استعمال هذه الصفة فيما يحبه ويرضاه !!!

﴿ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ ...
العَبْدُ مِن رَّبِّهِ عَزَّ وجَلَّ ...
وهُوَ سَاجِدٌ .. ﴾ ؟!

سألت طبيبًا: كم عدد الخلايا العصبية في مخ الإنسان ؟!

فقال: لابد من الرجوع إلى المراجع ... على العموم ... هي ملايين من الخلايا العصبية في مخ كل إنسان !!!

فسألت طبيبًا غيره: كم عدد الخلايا العصبية في مخ الإنسان؟!

فوقع في حيرة وقال: لا تحصى ... إنها ملايين ... ولكن على وجه الدقة ... يلزم الرجوع إلى المراجع !!!

قلت له: بئس الطبيب أنت ... كيف تجهل هذه الأساسيات. هل هي عدة ملايين؟!

قال: أكثر!!!

قلت: إني أوجه هذا السؤال إلى علماء الطب في العالم، خاصة المختصين في بحوث المخ وما حوى ...

وأريد أن أتأكد منهم أن المخ البشري الواحد فيه ملايين من الخلايا العصبية ...

لماذا هذا السؤال بالذات ؟!

؛ لأنه مفتاح لنفهم شيئا عن هذا الحديث ...

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله – ﷺ – قال: « أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل، وهو ساجدٌ، فأكثروا الدعاء » .

[رواه مسلم، وأبو داود، والنسائي]

...

المعاني القريبة للحديث مفهومة ... ولكن هناك أفقًا أوسع إذا تصورنا أن الإنسان، وهو ساجد في صلاته، قد ألصق وجهه بالأرض ...، وقد سجد وجهه لله الذي خلقه ...

فما هو الجديد في هذا المشهد؟! الجديد ... أن ملايين الخلايا العصبية في مخك قد سجدت معك بسجود وجهك، ووضعه على الأرض ...

ومعلوم أن هذه الخلايا العصبية هي التي تدير، وتحرك، وتدبر جميع خلايا جسمك ...

وهي التي ينبع منها التفكير، والإدراك، والاحساس ...

فحين تسجد بها لربك الذي خلقها فقد أدت شيئا مما ينبغي للخالق سبحانه الذي أبدعها هذا الابداع العجيب !!!

نبئوني أيها العلماء في الطب: كيف يتوافق، وتنسجم، وتتعاون ملايين الخلايا العصبية، هذا الانسجام وهذا التوافق ؟!

أجيبوني: كم عدد الخلايا العصبية في مخي ؟!

لأزدد تعظيما لربي الذي أبدعها، ونظمها هذا التنظيم الباهر ؟!!

قال الدكتور/ زغلول النجار: « إن جسم الإنسان – على سبيل المثال – يتكون من ملايين ملايين الأنواع المختلفة من الخلايا، وإن الخلية الحية الواحدة على قدر من التعقيد في البناء على الرغم من ضآلة حجمها يفوق كل ما حققه الإنسان من إنجازات تقنية، فصلا عن كل الذي فكر في تحقيقه ولم يتمكن من ذلك بعد » .

اللهم اتباعا لتوجيه رسولك – ﷺ – « فأكثروا الدعاء »

أدعوك ... ووجهي، ومخي ساجدٌ لك بما فيه من آلاف ملايين الخلايا العصبية

يا ذا الجلال والإكرام ...

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فأعف عنا.

في مخ الإنسان...
أربعة عشر بليون...
خلية عصبية ...
أي
١٤,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠خلية
أي أربعة عشر
مليون مليون خلية

وجاءني الجواب على سؤالي الذي طرحته في الفصل السابق: كم عدد الخلايا العصبية في مخ الإنسان؟

أجابني أحد العلماء: أربعة عشر بليون خلية عصبية في مخ الإنسان !!!

أي: أربعة عشر مليون مليون خلية !!!

فأدركت سر قوله – ﷺ – : « أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل، وهو ساجد، فأكثروا الدعاء » .

فأنت حين تسجد لله، وتضعُ وجهك على الأرض، فإنما تسجد معك أمة من الخلايا العصبية !!!

تسجد معك أربعة عشر مليون مليون خلية عصبية !!!

ومن هنا ... يكون العبد أقرب ما يكون من ربه عز وجل، وهو ساجد !!!

هذه ملايين الملايين سجدت معك !!!

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ
أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا[1] ﴾؟!

(١) سورة الكهف: ٥٤.

الإنسان؟!

كل إنسان ... هو هكذا ... أكثر شيء جدلا!!!

صفة أصيلة في كل إنسان ؟!

انظر إلى الطفل الرضيع ... وهو يجادل أمة بحركات غير مفهومة...

أو انظر إلى المرأة الثرثارة ... لا تكف عن الثرثرة مع صويحباتها ... أو مع زوجها ... أو مع أولادها ...

أو انظر إلى العلماء في شتى فنون المعارف يجادل بعضهم بعضا ... ما بين مؤيد، ومعارض ...

أو انظر إلى أجهزة الإعلام المختلفة مرئية أو مسموعة، وكلها تقوم على الحوار، والجدل والمناقشة التي لا تتوقف ...

مئات من القنوات والموجات بل آلاف تبث ليل نهار وهذا كله نوع جدل ومجادلة ...

أو انظر إلى البشرية في عمومها، وأوجه نشاطها ... وكم يصدر عن سكان الكرة الأرضية من كلام طيب أو خبيث ...

عجب في عجب هذا القانون ﴿ **وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا** ﴾ !!!

تتبع النشاط البشري ليلاً أو نهارًا ... إنه أمواج من الجدل ... أو ما نسميه اليوم حوارا ..

وإنما كان الإنسان أكثر شيء جدلا ... ؛ لأن الله أعطاه عقلا عجيبا يستطيع به أن يعلم كثيرا مما حوله ... ، وأن يترقي في عمله إلى ماشاء الله ...

ومن هذا العقل تنشأ إرادة الإنسان أن يتكلم مع غيره ... أن يجادل غيره ... كل يريد أن ينتصر !!!

وآلة هذا الكلام أو هذا الجدل عضو فيه ذو منافع كثيرة ... هو اللسان ...

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البَلَد : ٨ - ٩] ؟!

وهذا اللسان هو آلة التعبير بين الناس ...

ومن حيث أن الناس خلقوا مختلفين ... لذلك اختلف كلام كل انسان عن غيره ...

وكان الإنسان أكثر شيء جدلا؟!

ضع فيها ما صدر عن الآدميين من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة من جدل أو كلام !!!

صفة لازمة لكل إنسان طبيعي ...، وإنما يتفاوت الناس في مراتب الجدل حسب مراتبهم في تكوينهم .

إن لوحة العقل الآدمي تمتد إلى أعلى عليين ...، وتنزل إلى أسفل سافلين ...

والبشر موزعون على هذه المراتب ومتفاوتون ومختلفون ...

فاختلف لذلك ما يصدر عنهم من كلام وجدال ...

واللسان مطواع للإنسان ... ينطق بما يشاء ... إما كلمة طيبة فترفعه إلى أعلى ... وإما كلمة خبيثة فتهوى به إلى أسفل ...

وهذه الصفة في الإنسان – فيما نعلم – ينفرد بها الإنسان عن سائر الكائنات التي تعايشه في الأرض ...

تجد ذلك مكنونا في ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ؟!

لا شيء في دواب الأرض هو أكثر منه جدلا ...

فالبهائم مسخرة ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ...

إلا هذا الكائن المسمى بالإنسان ... فإنه دائم الجدل ...؛ لأنه دائم الاختلاف ... ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البَقَرَة : ١٤٨]...

والآن: متى تكون صفة المجادلة خيرًا؟ ...، ومتى تكون شرًا ...؟

إذا كانت لإظهار الحق والدعوة إلى الله، ونصرة المظلوم، والدفاع عن الدين ... فنعمت الصفة هذه الصفة ...

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النَّحل : ١٢٥].

والعكس صحيح ... إذا كان الجدال ... لطمس الحق، ونصرة الباطل، وإظهار الكفر ... فبئست الصفة ...، وعليها عذاب عظيم ...

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [غَافِر : ٥].

فكل جدل لإحقاق الحق فهو صفة محمودة مشكورة ...

وكل جدل لدحض الحق فهو صفة مذمومة عليها عذاب عظيم ...

أما الآية التي ذكرنا منها قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ . فهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكَهْف : ٥٤] .

وقال السيوطي في تفسيرها:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا.

﴿ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ أي: مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا.

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ أي الكافر.

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ خصومة في الباطل. المعنى: وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه.

ثم أقول: اللهم وفقنا أن يكون جدالنا لإحقاق الحق، وإبطال الباطل.

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (١) ﴾؟!

(١) سورة التين: ٤.

لا يعلم أن هناك مخلوقا في الكرة الأرضية هو أحسن ...

أو أجمل ... أو أبدع ... من الإنسان !!!

من أجل ذلك استخلفه الله في الأرض ...

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص : ٢٦].

بل الأمر أعم وأوسع ...

﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾ [البَقَرَة : ٣٠].

واستخلاف آدم استخلاف للإنسان !!!

انظر ماذا يقول الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ [الرَّحْمَن : ١ - ٣].

في هؤلاء إشارة إلى عظيم خلق الإنسان ...

وألا شيء في الأرض يضاهيه أو يوازيه أو يساويه ...

لقد جعل الله في خلق الإنسان أعظم الإتقان ...، وأعظم الجمال ...، وجعله صالحا: لأن يبلغ غاية الكمال !!!

﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ...﴾ [النَّمْل : ٨٨].

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السَّجْدَة : ٧].

ولننظر الآن إلى الإشارة إلى عظيم خلق الإنسان ...

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التِّين : ٤ - ٦].

وقالوا في تفسيرها:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ الجنس.

﴿ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ تعديل لصورته.

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ ﴾ في بعض أفراده.

﴿ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ كناية عن الهرم والضعف، فينقص عمل المؤمن عن زمن الشباب، ويكون له أجره بقوله تعالى:

﴿ إِلَّا ﴾ لكن.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ مقطوع.

وفي الحديث: « إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب له ما كان يعمل » [الراوى : مسعود بن مالك الأسدى أبو رزين].

...

أما ابن كثير فمما قال:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ في أحسن صورة وشكل، منتصب القامة، سوي الأعضاء حسنها.

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيرهم إلى النار إن لم يطع الله، ويتبع الرسل: ولهذا قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ .

وقال بعضهم: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ أي إلى أرذل العمر.

وروى هذا عن ابن عباس وعكرمة حتى قال عكرمة: من جمع القرآن لم يُرد إلى أرذل العمر.

واختار ذلك ابن جرير ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أي: غير مقطوع.

...

ثم أقول:

الحمد لله الذي خلقني بشرا !!!

لماذا ؟!!

؛ لأن الله تعالى خلقني في أحسن تقويم ...في أحسن صورة..، وهذه منة ما بعدها منة!!!

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسْرَاء : ٧٠].

وماذا بعد هذا ؟!!

تكريم عجيب لبني آدم ... لو يعقل كل آدمي مدى تكريم الله له ... لخر ساجدًا لله ... شاكرًا لأنعمه ... أن خلقه إنسانا !!!

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ... في أحسن تركيب ... فلا يوجد كائن في الأرض هو أحسن خلقا ... أو أحسن تركيبا من الإنسان ...

ولو أن جميع الباحثين والباحثات ...، وجميع الأطباء والطبيبات ... عكفوا جميعا ليتفكروا في عجائب أجهزة جسم الإنسان ... ما استطاعوا أن يحصوها، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا!!!

هذا عن جمال خلق الإنسان ... وأن في تركيبه بدائع، وروائع من الحسن لا تحصى !!!

وأعجب العجب أن كل إنسان يختلف عن أي إنسان في كل شيء ...

فهل يستطيع ذلك من أحد إلا القادر القدير ؟!!

بلايين من الناس ماتوا، وبلايين قائمون، وبلايين سوف تأتي ... وما تطابق أحد مع غيره صورة، ولا تركيبا قط !!!

اللهم إني أشهدك وأشهد حملة عرشك، وجميع خلقك، أنك الله، الأحد الصمد؛ الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد. أنت خالق كل شيء، وبديع السماوات والأرض، ومن فيهن..

وخالق الإنسان ... في أحسن قوام ... وأبدع تركيب !!!

هذا ... وأما عن قوله سبحانه ﴿ **ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ** ﴾ ففيها إشارة جميلة ... إلى أن الإنسان ... كل إنسان ... خلق صالحا لأن يرتفع إلى أحسن تقويم ... إلى أعلى عليين ...، وصالحا أن يهوى إلى أسفل سافلين ...

فلك أيها الإنسان أن تختار ... إما صعودًا إلى أحسن تقويم ... وإما هبوطًا إلى أسفل سافلين !!!

والله أعلم

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا[1] ﴾؟!

(١) سورة العنكبوت: ٨.

الإنسان ... كل إنسان ... ذكرًا أو أنثى ...

حتما يكون له والدان ... أب وأم ... فالقضية أخطر قضية ...؛ لأنها في صميم حياة كل إنسان ...

وأعني بها قضية الوالدين ... اللذين هما سبب وجوده ... احترقا ... الوالد والوالدة في تربيته ... ورعايته حتى استوى، وصار شابا أو فتاة ...

إلا أن هذا المولود ينسى هذه القضية من أبويه ...

ويجحد حقهما ... أحدهما أو كليهما ... في فترة هما أحوج ما يكونان إلى عطفه، وحنانه ...

فإذا ما صادف الرجل فتاة أحلامه ...، وذاق حلاوة حبها ... التصق بها ...، وافترق عن أبويه !!!

وإذا ما عثرت الفتاة على فتاها أعطته كل حنانها ...، ونسيت حق أمها في هذا الحنان ...، وحاجة أبيها إلى بسمة حلوة من شفتيها !!!

قضية على الغاية من الخطورة ... كائنان ... رجل وامرأة ... كان منهما طفل ... أو أطفال ...

واندفع الزوجان ... واستهلكا طاقاتهما في تربية هؤلاء الأطفال ...

وظنا، وهما في سكرة الشباب أن رصيد حياتهما في الشيخوخة سيكون هؤلاء الأولاد !!!

فلما أصابتهما الشيخوخة ... كانت المفاجأة أن هؤلاء الأولاد كل طاقاتهم تتجه إلى عالم غير عالم الأبوين ...

وأن تفكير الأولاد في كيفية تكوين مركز حياتهم لا حياة أبويهم !!!

فأصابت الوالدين صدمة ومرارة، وطفقا يلومان الزمان ... ويتحسران على ما كان !!!

ولما كانت هذه القضية هي أخطر قضية في حياة كل إنسان ... كان لابد من تحليلها تحليلا مؤسسًا على كتاب الله ... وسنة رسول الله - ﷺ - ...

فماذا جاء في الكتاب العزيز ؟!

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العَنكَبُوت : ٨].

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي: إيصاء ذا حسن بأن يبرهما.

...

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لُقْمَان : ١٤] .

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أمرناه أن يبرهما.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ فوهنت.

﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي ضعفت للحمل، وضعفت للطلق، وضعفت للولادة.

﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي فطامه.

﴿فِى عَامَيْنِ﴾ وقلنا له.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع.

...

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأَحْقَاف : ١٥] .

وقالوا في تفسيرها:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾ أي أمرناه أن يحسن إليهما.

﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ أي على مشقة.

﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ﴾ من الرضاع.

﴿ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ ستة أشهر أقل مدة الحمل، والباقي أكثر مدة الرضاع.

وقيل: إن حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقي.

﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ أي: وعاش حتى.

﴿ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ هو كمال قوته، وعقله، ورأيه أقله ثلاث وثلاثون سنة، أو ثلاثون.

﴿ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ أي: تمامها، هو أكثر الأشد.

﴿ قَالَ رَبِّ ﴾ ... إلخ.

نزلت في أبي بكر الصديق، لما بلغ أربعين سنة، بعد سنتين من مبعث النبي - ﷺ -، آمن به، ثم آمن أبواه، ثم ابنه عبد الرحمن، وابن عبد الرحمن، أبو عتيق.

﴿ أَوْزِعْنِىٓ ﴾ ألهمني.

﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ﴾ وهي التوحيد.

﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله.

﴿ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ﴾ فكلهم مؤمنون.

﴿ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

...

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا * رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسْرَاء: ٢٣ - ٢٥].

﴿وَقَضَى﴾ أمر.

﴿رَبُّكَ أَ﴾ نَ، أي بأن.

﴿لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ بأن تحسنوا.

﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ بأن تبروهما.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ﴾ فاعل.

﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ وفي قراءة: (يبلغان).

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ بفتح الفاء، وكسرها، منونًا، وغير منون. مصدر بمعنى تبا، وقبحا.

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ تزجرهما.

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ جميلاً لينًا.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ ألن لهما جانبك الذليل.

﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي لرقتك عليهما.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا﴾ رحماني حين ﴿رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾ من إضمار البر، والعقوق.

﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾ طائعين لله.

﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ﴾ الرجاعين إلى طاعته.

﴿ **غَفُورًا** ﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة، وهم لا يضمرون عقوقا.

...

فماذا جاء في الحديث ؟!

عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: « سألت رسول الله – ﷺ –: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها

قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله » .

[رواه البخاري ومسلم]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: « جاء رجل إلى رسول الله – ﷺ – فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك » .

[رواه البخاري ومسلم]

أقول: والأحاديث في هذا الشأن كثيرة.

وجاء في الترهيب من عقوق الوالدين الكثير ...

ونكتفي بالحديث الآتي: عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – ﷺ –: « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ – ثلاثًا — قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين. وكان متكئا فجلس فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت » .

[رواه البخاري ومسلم والترمذي]

...

ثم أقول: بعد ذكر ما تيسر من الآيات، ومن الأحاديث ... نسأل سؤالا:

لماذا كانت قضية الوالدين من أخطر القضايا في حياة أي إنسان؟ لأنها لا أحد إلا وله والدان ... ولا أحد إلا وسوف يكون والدا بعد ذلك ... إذا شاء الله ...

أو والدة بعد ذلك إن كان خلق أنثى ...

ففي البداية يرعاك أبوان ... وفي النهاية تصبح أنت راعيا لوالديك ... فهناك مشكلة مزدوجة ... أنت في أولها ابن أو بنت لوالدين ...، وفي النهاية أنتما والدان لمن رزقكم الله من أولاد...

فكيف يتحقق التوزان بين مسئولية تربية الأبناء ...، ومسئولية بر الوالدين ؟!

أما مسئولية تربية الأولاد فهي متحققة من الإنسان بحكم الغريزة ...؛ لأن الوالدين مركوز في تكوينهما حب الأولاد ...، والتلذذ بالاحتراق في رعايتهم وحمايتهم !!!

ولكن المشكلة هي في بر الوالدين ...، ومن هنا أوصى الله ببر الوالدين ... وأكد الوصية في مواضع عدة من كتابه الكريم ...

؛ لأن الإنسان يريد أن يتفلت من تلك المسئولية، لأنها ثقيلة وشاقة ...

الوالدان ... شيخان كبيران ... مريضان ... ضعيفان ... حزينان ... ليس عندهما إلا الهم والغم ... والتفجع والتوجع ... فدوافع النفور منهما قائمة ... والعكس من ذلك الأولاد ... شباب ... حيوية ... أمل ... عمل ... سرور ... حركة ...، وحياة بعد ذلك ...

فالنفس خبيثة تميل إلى حب الشهوات ...، وهذا متحقق في الأولاد ...، وغير متحقق في الوالدين !!!

ولا فضل في الأولاد أن كانوا في أبهى حالات الحياة ...

، ولا ذنب للوالدين أن كانا في أسحق مراحل الحياة ...

وإنما الجميع تسري فيهم حتمية التركيب ... التي لا حيلة في تغييرها ...

فيكف الحل لهذا الطلسم ؟

إذا التمست الحل في آراء البشر وحدها ضللت، وكنت كمن يحرث في البحر ...

؛ لأن الإنسان يتبع الهوى إذا حكم ...، وينتهي إلى الضلال والإضلال إذا استبد برأيه بعيدًا عن الاستنارة بنور الشريعة ...

فما هو الحل الصحيح ؟!

هو ما أمر به الله سبحانه: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾ !!!

هذا هو الحل لمن أراد لتلك المشكلة حلا !!!

هو الإحسان إلى الوالدين ... إلى أقصى ما يتصور من الإحسان ... والدعاء لهما: ﴿ **رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا** ﴾ ...

تذكر أيها العاق لوالديك ... أيها الجاحد لأبويك ...

أنهما ربياك صغيرا ...، وآثراك على أنفسهما شابا ...، وضحيا من أجلك كثيرا ...

فاردد إليهما بعضًا من حقوقهما عليك ...

واعلم أنهما في مسيس الحاجة إلى عونك ...، وشفقتك ...، وابتسامتك التي تضن بها عليهما ... بينما تبذلها عريضة لأطفالك !!!

ما منا إلا وهو مقصر في حق أبويه !!!

فعلى من فاته الأمر ... أن يسارع إلى برهما إلى أقصى مراتب البر.

فإن رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين، وسخط الله تبارك وتعالى في سخط الوالدين.

واعلم أن مكارم الاخلاق أن تبر والديك ...

؛لأن بر الوالدين بذل، وتضحية، ورد للجميل ... وها هنا تجد رضا الله مقبلا عليك ...

وأما الأولاد فغريزة تتحقق في كل إنسان ...، وليس في هذا القول دعوة لإهمال الأولاد ... كلا فإن في رعايتهم أجرًا عظيما ...

ولكن الأجر الأعظم في تحقيق ﴿ **وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا** ﴾ !!!

اللهم تب علينا ...

ووفقنا إلى العمل بما تحبه وترضاه !!!

﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ
مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ
فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ[1] ﴾؟!

(١) سورة فصلت : ٤٩.

أحسن حديث يكشف لكل انسان حقيقته ... أن ينصت إلى وصف القرآن حين يصفه وصفا محكما دقيقًا !!!

قال تعالى: ﴿**لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ**[1]﴾ [فُصِّلَت : ٤٩] .

وقالوا في تفسيرها: ﴿**لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ**﴾ أي لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما.

﴿ **وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ** ﴾ الفقر والشدة.

﴿ **فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ** ﴾ من رحمة الله وهذا ما بعده في الكافرين.

...

وأقول:

لماذا لا يسأم الإنسان من دعاء الخير ؟!

؛ لأنه مسكين غاية المسكنة ... فقير غاية الفقر!!!

ومن أشد مسكنة ... أو أشد فقرا ... من كائن مهدد في أي لحظة بالموت ؟!!

نعم ... ما منا إلا، وهو يحمل في تكوينه دوافع فنائه !!!

وأخطر من ذلك ... أن ذلك مغيب عنك ... لا تدري متى يقع بك الفناء ... فأي ضعف، وأي فقر هو أعظم من فقرك ؟!!

---

(١) ما الفرق بين اليأس والقنوط؟!

اليأس أن تظن أن هذا الشيء لن يحدث، مع احتمال أن يحدث. والقنوط أن تظن أن هذا الشيء لن يحدث، مع اعتقاد أنه لن يحدث. مثال اليأس: ﴿**لَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ**﴾ ومثال القنوط: ﴿**بَشَّرْتَنَا بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ** ﴾ أي من المعتقدين بإستحالة خلق طفل من شيخين عجوزين! والله أعلم.

﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ !!!

فحين يفزع الإنسان إلى الدعاء فإنه يلتمس العون من الذي يقدر أن يعينه ...، وليس ذلك إلا الله سبحانه ...

ومن حيث أن الإنسان في حاجة لا تنقطع إلى العون ... فهو لا ينقطع عن الدعاء ... ولا يسأم منه ...؛ لأنه حين يكف عن الدعاء ... فقد أغلق قناة الإتصال بخالقه ... الذي يقدر على إمداده بما ينقصه من مطالب الحياة ...

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسْرَاء : ٢٠] .

وآية ضعف الإنسان ... ﴿ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾...

لماذا ؟! ... بمجرد أن يمسه الشر فهو شديد الياس شديد القنوط ...

لا يظن أن هذا الشر سيرفع عنه ؟!

؛ لأنه قطع صلته بخالقه ... ووقف وحيدًا يواجه ما نزل به من مصائب !!!

ولو أنه فزع إلى ربه ... وناداه أن يغيثه، ويستنقذه مما أصابه ... لوجد الله له مغيثًا ...

عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله – ﷺ – قال: « من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر من الدعاء عند الرخاء » .

[رواه الترمذي والحاكم]

والله أعلم

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ
أَن يُتْرَكَ سُدًى[1] ﴾؟!

(١) سورة القيامة : ٣٦.

لماذا يكذب الإنسان الكافر بيوم الدين؟!

لماذا يرفض أن تكون بعد هذه الحياة حياة أخرى يحاسب فيها عما قدم وأخر ؟!

؛ لأن الكافر أو الفاجر يريد أن يعيش كيف يشاء ....، ولا يريد أن يحاسب عن فجوره أو إجرامه !!!

بل هو يفزع أشد الفزع إذا حاولت أن تقنعه بفكرة الحساب في الآخرة !!!

ولا شيء يفزع المجرم أشد من أن تقول له: أكفف عن إجرامك، لأنك سوف تحاسب عليه حسابا عسيرًا !!!

قال تعالى: ﴿ **أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى** ﴾ ؟!

وقالوا في تفسيرها والآيات التي بعدها:

﴿ **أَيَحْسَبُ** ﴾ يظن.

﴿ **ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى** ﴾ هملا، لا يكلف بالشرائع؟ لا يحسب ذلك.

﴿ **أَلَمْ يَكُ** ﴾ أي كان.

﴿ **نُّطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ** ﴾ بالياء، والتاء (تمنى) تصب في الرحم.

﴿ **ثُمَّ كَانَ** ﴾ المنى.

﴿ **عَلَقَةً فَخَلَقَ** ﴾ الله منها الإنسان.

﴿ **فَسَوَّىٰ** ﴾ عدل أعضاءه.

﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ﴾ من المنى الذي صار علقة قطعة دم، ثم مضغة أي: قطعة لحم.

﴿ ٱلزَّوْجَيْنِ ﴾ النوعين.

﴿ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ يجتمعان تارة، وينفرد كل منهما عن الآخر تارة.

﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ ﴾ الفعال لهذه الأشياء.

﴿ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ قال - ﷺ - : « بلى » .

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ[1]﴾؟!

(١) سورة الفجر : ١٥.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ * وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ * كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ * وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفَجْر: ١٥ - ٢٠].

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ الكافر.

﴿ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ ﴾ اختبره.

﴿ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ ﴾ بالمال، وغيره.

﴿ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ ﴾ ضيق ﴿ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾.

﴿ كَلَّا ﴾ ردع. أي: ليس الإكرام بالغنى، والإهانة بالفقر، وإنما هو بالطاعة والمعصية، وكفار مكة لا ينتبهون لذلك.

﴿ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾ لا تحسنون إليه مع غناكم، أو لا تعطونه حقه من الميراث.

﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ ﴾ أنفسهم أو غيرهم.

﴿ عَلَىٰ طَعَامِ ﴾ أي إطعام.

﴿ ٱلْمِسْكِينِ ﴾

﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ ﴾ الميراث.

﴿ أَكْلًا لَّمًّا ﴾ أي: شديدًا للمهم نصيب النساء، والصبيان من الميراث مع نصيبهم منه، أو مع مالهم.

﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ أي: كثيرا، فلا ينفقونه.

...

وماذا عند ابن كثير في تفسيره للآيات:

يقول تعالى منكرا على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك، فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له، وليس كذلك بل هو ابتلاء، وامتحان كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ .

وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه، وامتحنه، وضيق عليه في الرزق فيعتقد أن ذلك من الله إهانة له قال الله تعالى (كلا) أي: ليس الأمر كما زعم، لا في هذا، ولا في هذا، فإن الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب، ومن لا يحب.

وإنما المراد في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين.

إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك، وإذا كان فقيرا بأن يصبر.

وقوله تعالى: ﴿ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾ فيه أمر بالإكرام، كما جاء في الحديث: عن النبي - ﷺ -: « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه — ثم قال بإصبعه — أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » [أخرجه ابن ماجه والبخارى وعبد بن حميد].

﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ يعني: لا يأمرون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين، ويحث بعضهم على بعض في ذلك.

﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ ﴾ يعني الميراث.

﴿ أَكْلًا لَّمًّا ﴾ أي من أي جهة حصل لهم من حلال أو حرام.

﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ أي: كثيرا، زاد بعضهم: فاحشا.

...

ثم أقول:

يصاب الإنسان بالغباء حين يجعل مقياسه في الحياة قائما على المال ...

فمن كان ذا مال كثير فهو عند الإنسان هو العظيم ... ومن كان فقيرا فهو عنده لا يساوي شيئا !!!

أكثر الناس هكذا يعتقدون ...، وهذه مصيبة تدل على غباء مكين ...

إلا الذين آمنوا ... أولئك لهم نسب غير نسب المال ... وهو ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ**﴾ [الحُجُرَات : ١٣]...

وقليل ما هم !!!

أما الكثرة الساحقة ... فعقيدتها تتبع الغنى والفقر ...

ولقد امتد هذا المفهوم الخاطيء في عقولهم فجعلوه مقياس الإكرام، والإهانة عند الله !!!

﴿ **فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ * وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ** ﴾.

(كلا) أيها الإنسان ... ليس كثرة المال دليلا على الإكرام ... أو قلة المال دليلا على الإهانة ...

وإنما المعصية والطاعة ... هما المقياس ... فالطائع هو المكرم ...، والعاصي هو المهان ...

أما المال فهو للبر والفاجر على حد سواء !!!

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ[1] ﴾؟!

(١) سورة العصر : ٢- ٣.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العَصْر: ١ - ٣].

...

وقالوا في تفسيرها:

« ذكر الطبراني ... عن عبيد الله بن حفص قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله - ﷺ - إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر.

وقال الشافعي - رحمه الله -: لو تدبر الناس هذه السورة لو سعتهم.

...

﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴾ الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر فأقسم تعالى بذلك.

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ أي: في خسارة وهلاك.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم.

﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات.

﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ أي: على المصائب والاقدار، وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر.

...

فماذا عند الإمام السيوطي ؟!

﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴾ الدهر.

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ الجنس.

﴿ لَفِي خُسْرٍ ﴾ في تجارته.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فليسوا في خسران.

﴿ وَتَوَاصَوْاْ ﴾ أوصى بعضهم بعضا.

﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ الإيمان.

﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

...

ثم أقول:

أقسم سبحانه ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴾ ... أي: الزمان ... أو الدهر ... مطلق الزمان ...

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ كل إنسان ...

﴿ لَفِي خُسْرٍ ﴾ في خسارة وهلاك.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بقلوبهم.

﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ بجوارحهم.

﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ﴾ أوصى بعضهم بعضا بأداء الطاعات، وترك المحرمات.

﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ على مصائب الأقدار، وعلى الطاعة، وعن المعصية.

...

الإعجاز أن هذه السورة في غاية الإيجاز !!!

ومع أن كلماتها معدودة ... إلا أن معانيها ممدودة !!!

لو انتظم عليها أي إنسان لو سعته ... وكانت له منهاجا شاملا ...

وهذا ما قاله الإمام العظيم ... الشافعي: « لو تدبر الناس هذه السورة لو سعتهم » !!!

انظر إلى جمال التطبيق العملي الآتي بيانه:

« كان الرجلان من أصحاب رسول الله – ﷺ –، إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها.

« ثم يسلم أحدهما على الآخر » !!!

أسلوب علمي ... ومنهاج تربوي جميل !!!

وهكذا كانوا ... وهكذا أفلحوا ... طوبى لمن أخذ بهذا ... ثم طوبى لهم !!!

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ
أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ(١)﴾؟!

(١) سورة العلق : ٦- ٧.

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العَلَق : ٦ - ٧].

وجاء في تفسيرها:

﴿كَلَّآ﴾ حقا.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ﴾ أي نفسه

﴿ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ بالمال.

نزلت في أبي جهل.

فماذا عند ابن كثير؟

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ .

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح، وأشر، وبطر، وطغيان، إذا رأى نفسه قد استغنى، وكثر ماله، ثم تهدده، وتوعده، ووعظه فقال ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ إي إلى الله المصير والمرجع، وسيحاسبك على مالك من أين جمعته، وفيم صرفته: « عن عون قال: قال عبد الله: منهومان لا يشبعان، صاحب العلم، وصاحب الدنيا، ولا يستويان، فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن، وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، قال: ثم قرأ عبد الله ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ وقال للآخر ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾ .

وقد روى هذا مرفوعا إلى رسول الله – ﷺ – « منهومان لا يشبعان، طالب علم وطالب دنيا » [أخرجه الطبراني وابن أبي عاصم وابن الجوزي]

...

ثم أقول:

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ ؟!!

لماذا يحدث هذا الانقلاب في الإنسان إذا استغنى؟!

؛لأن معدن هذا الإنسان خبيث، وخبثه مغطى بظروفه القاسية التي تمنعه أن يحقق طغيانه...

فإذا زالت هذه الموانع ... ظهر على حقيقته ... مجرما ...، وطاغية ...، وظلوما !!!

ولعل هذا هو سر التضييق على كثير من الناس في أرزاقهم ... منعًا للطغيان المستتر في تكوينهم ...

ولإلجائهم إلى استهلاك طاقاتهم في الكدح لتحصيل أرزاقهم ...

وفي هذا صلاح لهم ...، وصلاح لمجتماعتهم !!!

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ
إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ[1] ﴾؟!

(١) سورة عبس : ٢٤.

الاستاذ الدكتور/ زغلول النجار آتاه الله علمًا ... ووفّقه إلى الإفادة من هذا العلم ... في الكشف عن عجائب الاعجاز في بعض الآيات القرآنية ...

وذلك في أسلوب علمي حديث يطابق أحدث ما وصلت إليه العلوم الحديثة ...

وقد رأيت أن أقدم للقراء بعض ما قاله في إحدى مقالاته في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ**﴾ [عَبَس : ٢٤].

...

قال: أولا: فلينظر الإنسان إلى طعامه من الدلالات العلمية للآيات الكريمة (الطعام) و(الطعم) هو كل ما يؤكل، و(الطَّعْمُ) تناول الغذاء، والطعمة) الماكلة، ويقال: (طعم) (طعماً) إذا أكل أو ذاق فهو (طاعم)، و(استطعمه) أي ساله أن يطعمه فأطعمه.

وقد يستعمل الفعل (طعم) في الشراب أيضا لقول الحق تبارك وتعالى على لسان طالوت لجنوده ﴿... **إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ**﴾ [البَقَرَة : ٢٤٩].

وقول رسول الله – ﷺ – في وصفه لماء زمزم « إنه طعام طعم وشفاء سقم » [أخرجه البخارى ومسلم وأحمد والبزار واللفظ له].

ولذلك بدأت هذه المجموعة من الآيات التي تتحدث عن الطعام في : سورة عبس بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا** ﴾.

ومن الثابت علميا أن الماء سابق في وجوده على خلق الحياة؛ لأن الحياة الأرضية التي نعرفها لا تقوم بغير الماء الذي أخرجه ربنا (تبارك وتعالى) أصلا من داخل الأرض، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا** ﴾ [النَّازِعَات : ٣٠ - ٣١].

وعلى الماء قامت حياة كل من النبات، والحيوان، والإنسان، وأعد الله (تعالى) للإنسان كل صنوف الطعام التي يحتاجها في حياته، ومن هنا كانت الإشارة إليه لينظر إلى طعامه نظر تدبر وتفكر، واعتبار.

ثانيًا: ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴾.

تعتبر دورة الماء حول الأرض من دلالات طلاقة القدرة الإلهية، فقبل إخراج ماء الأرض من داخلها عبر فوهات البراكين، كان الله (تعالى) قد هياها سقفا باردا تتكثف عنده، وهو الحد العلوي لنطاق الرجع (نطاق التغيرات المناخية) الذي تصل عنده درجة الحرارة فوق خط الاستواء إلى (٦٠) درجة تحت الصفر، ولولا هذه الحقيقة لارتفع بخار الماء المتصاعد من الأرض إلى طبقات الجو العليا، وانفلت من نطاق جاذبية الأرض إلى فسحة الكون، ولو حدث ذلك ما كنا، ولا كانت الحياة من حولنا على الإطلاق.

وعند وصول بخار الماء المتصاعد من الأرض إلى الحد الأعلى لنطاق الرجع تكثف وعاد إلى الأرض مطرا، وساعد تكرر نزول المطر على تبرد الغلاف الصخرى للأرض، كما ساعد على سيلان الماء على سطح الأرض شاقا أودية له على هيئة أعداد من الأنهار والجداول، وعلى تحركه إلى منخفضات الأرض ليملأها بالماء مكونا البحار، والمحيطات، والبحيرات، وغير ذلك من تجمعات الماء على سطح الأرض، وبمجرد تكون ذلك بدأت أشعة الشمس في تبخير هذا الماء ليرتفع على هيئة بخار يعلق بأجزاء من الغلاف الغازي للأرض مكونا السحب التي يتكثف منها الماء ليعود إلى الأرض مطراً، وبردا، وثلجا.

وقد استمرت دورة الماء حول الأرض منذ أن أخرج الله (تعالى) منها ماءها، وسوف تستمر إلى أن يرث الأرض، ومن عليها.

وبهذه الدورة المعجزة التى يتحرك بها الماء من غلاف الأرض المائى إلى غلافها الهوائي ليتطهر مما يتجمع فيه من ملوثات، ومواد يذيبها من الغلاف الصخرى للأرض، أو تعلق به في أثناء جريانه على سطحها، أو من بقايا بلايين الكائنات الحية التى تحيا، وتموت في الأوساط المائية. وتمتد دورة الماء من نحو الكيلو متر الواحد تحت سطح الأرض إلى ارتفاع يقدر بنحو خمسة عشر كيلو مترا فوق مستوى سطح البحر، فتعمل على تطهير الماء، وتلطيف الجو. وتوفير نسبة معينة من الرطوبة في كل من الغلاف الغازي للأرض وتربتها تحتاج إليه غالبية صور الحياة إن لم تكن جميعها خاصة في المناطق الصحراوية.

وبواسطة هذه الدورة المائية التي استمرت على مدار عمر الأرض المقدر بنحو خمسة بلايين من السنين تمت تسوية سطح الأرض، وشق الفجاج والسبل فيها، كما تم تفتيت الصخور، وتكوين كل من التربة والصخور الرسوبية، وخزن قدر من هذا الماء فيها، وفي غيرها من صخور قشرة الأرض، وتكوين أعداد من الصخور الاقتصادية، والركازات المعدنية المهمة.

ولولا هذا الإعداد الرباني الدقيق ما أثبتت الأرض، ولا كانت صالحة للعمران، ولذلك يمن علينا ربنا (تبارك وتعالى) – وهو صاحب الفضل والمنة – بقوله عز من قائل: ﴿ **أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا** ﴾ أي أنزلنا الغيث من السماء إنزالا، لأن صب الماء هو إراقته من أعلى، والصبيب هو المصبوب من المطر وإن استعمل لغيره من السوائل، فإذا علمنا أن كمية الماء الأرضى تقدر بنحو ١,٤ بليون كيلو متر مكعب، وأن من هذه الكمية الهائلة التي أخرجها ربنا (تبارك وتعالى) لنا من داخل الأرض، يتبخر سنويا ٣٨٠ ألف كيلو متر مكعب، ثم تعود كلها إلى الأرض مرة أخرى مطرا طهورا يوزعه الله (تعالى) بعلمه وحكمته، وقدرته، إذا علمنا ذلك لأدركنا قيمة هذه النعمة الإلهية الكبرى التي وصفها الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿ **أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا** ﴾، وقوله (عز من قائل: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا * لِّنُحْيِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا** ﴾ [الفُرْقَان : ٤٨ - ٤٩]

ثالثًا: ﴿ **ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا** ﴾ .

ترد كلمة الأرض فى القرآن الكريم بثلاثة معان محددة لتعنى كوكب الأرض في مجمله، أو الغلاف الصخرى المكون للبابسة التي نحيا عليها، أو قطاع التربة الذى يغطى ذلك الغلاف الصخرى في بعض أجزائه، كما هو واضح من الآية الكريمة التي نحن بصددها لقول الحق (تبارك وتعالى): ﴿ **ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا** ﴾ ؛ لأن الحب لا ينبت إلا في التربة، وكذلك الغالبية الساحقة من النباتات.

وتتكون تربة الأرض بالتفاعل المعقد بين أغلفتها الصخرية، والمائية، والهوائية، والحيوية، مما يؤدى إلى التفكك الفيزيائي، والتحلل الكيميائي والحيوى لصخور الأرض بواسطة عوامل التعرية المختلفة، وتلعب الكائنات الحية من مثل: البكتيريا، والفطريات، والطحالب، وجميع النباتات،

وبعض الحيوانات دورا رئيسيا في تكون التربة التي تعتبر مصدر الغذاء والماء لحياة كل النباتات الأرضية، بل لحياة كل من الإنسان والحيوان.

وتتكون التربة الأرضية في قطاعها العلوي أساسا من معادن الصلصال، وحبات الرمل وأكاسيد الحديد، وكربونات كل من الكالسيوم والمغنيسيوم، وإن كانت أنواع التربة تتعدد تعددا هائلا بتعدد أنواع الصخور التي تنشأ عنها، والظروف الطبيعية والكيميائية التي تتعرض لها، وأنواع الكائنات الحية التي تزخر بها، والتي تلعب أدوارا رئيسية في إعدادها.

وعلى الرغم من ذلك تبقى المعادن الصلصالية قاسما مشتركا فى معظم أنواع تربة الأرض، والمعادن الصلصالية لها شراهة شديدة للماء، فإذا وصلها امتصته بسرعة فتميأت مما يؤدى إلى زيادة حجمها فتهتز وتربو إلى أعلى حتى ترق رقة شديدة، فتنشق لتفسح طريقا أمنا لسويقة (ريشة) النبتة المنبثقة من داخل البذرة النابتة المدفونة في التربة، ومن هنا كانت تلك الإشارة القرآنية المعجزة فى هذه السورة المباركة التي جمعت بين صب الماء، وشق الأرض، والإنبات في تسلسل دقيق معجز يقول فيه ربنا (تبارك وتعالى): ﴿**أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا**﴾ [عَبَس : ٢٥ - ٢٧] .

ومن أسباب اهتزاز التربة، وارتفاعها حتى تنشق دقة حجم حبيبات المعادن الصلصالية (أقل من ٠,٠٠٤ من المليمتر) التي تتحول إلى الحالة الغروية بمجرد اختلاط الماء بها بكمية كافية، وهي حالة تتدافع فيها جسيمات المادة بقوة، وأقدار غير متساوية في جميع الاتجاهات، وعلى كل المستويات في حركة دائبة تؤدى إلى اهتزاز التربة، وانتفاخها، وانتفاضها بشدة حتى تنشق، وكلما زادت كمية الماء المختلط بالتربة زاد اهتزازها وارتفاعها، وسارع ذلك في تشققها بإذن الله (تعالى).

رابعًا: ﴿**فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَآئِقَ غُلْبًا * وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا * مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ**﴾ .

هذا التسلسل المعجز فى ست آيات قصار يكاد يشمل جميع النباتات التى تصلح طعاما ومتاعًا لكل من الإنسان وأنعامه.

(١) فالكلمة ﴿ **حَبًّا** ﴾ تشمل جميع انواع الحبوب (من ذوات الفلقة الواحدة) من مثل:

القمح، والشعير، والشوفان، والذرة، والأرز، وغيرها. وتنطوى هذه النباتات في عائلة واحدة تعتبر من أكثر النباتات نجاحا، لأنها تسود مساحات من اليابسة أكثر من أية نباتات أخرى، وتعرف هذه العائلة باسم عائلة النجيليات (العائلة النجيلية)، وتشمل نحو سبعة آلاف نوع من أنواع النباتات، وهي أهم عائلة نباتية بالنسبة لكل من الإنسان والحيوانات آكلة الأعشاب كالأنعام لأن جميع أنواع الحبوب اللازمة لحياة كل منهما تنطوي في هذه العائلة، وقد أنبتها الله (سبحانه وتعالى) قبل خلق الإنسان بملايين السنين، وأخذ الإنسان في زراعتها منذ أيام ما قبل التاريخ.

وبالإضافة إلى هذه المحاصيل المهمة من الحبوب تضم عائلة النجيليات محاصيل أخرى مهمة من مثل: قصب السكر، وأعشاب المراعي، ومنها: الحولية والمعمرة، كما تضم بعض النباتات الخشبية من مثل نبات الخيزران.

(٢) والتعبير القرآني: ﴿ **وَعِنَبًا وَقَضْبًا** ﴾ أيضا تعبير معجز؛ لأن (العنب) يشير إلى رتبة كاملة من نباتات الثمار المهمة هي (رتبة العنابيات)، وتشمل: عائلتين مهمتين هما: (عائلة العناب) وتشمل (٤٥) جنسا ، و(٥٥٠) نوعا من أنواع النباتات واسعة الانتشار من مثل العناب والنبق، و(عائلة الأعناب)، وتشمل (١١) جنسا، و(٦٠٠) نوع من أنواع العنب وهو واحد من أهم المحاصيل النباتية.

أما (القضب) و(القضبة) فهو الرطب من ثمار النبات، و(القضب) أصلاً هو القطع، و(اقتضبه) أي: اقتطعه؛ ولذا استعير (القضب) لما يقضب من النبات ليأكله الإنسان غضا طريا كالبقول التي تقطف ثمارها فينبت مكانها، أو تقطف النبتة فينبت أصلها، وفى ذلك إشارة إلى العائلة البقولية، وهى ثانى أكبر عائلة نباتية بذرية يعتمد عليها كل من الإنسان، وأنعامه في طعامه بعد العائلة النجيلية، وهي عائلة نباتاتها منتشرة في جميع أنحاء العالم، وتشمل نحو (٦٠٠) جنس و(١٢,٠٠٠) نوع من أنواع النباتات ذات الفلقتين، وتشمل فيما تشمل: الفول، العدس، الحمص، الفاصوليا، اللوبيا، البازلاء، فول الصويا، الفول السوداني، الترمس، الحلبة، الخروب، التمر هندى، وغيرها، وكلها من ذات الثمار القرنية، ولذلك تعرف أحيانا باسم (العائلة القرنية).

كذلك تشمل هذه العائلة نبات البرسيم الحجازى الذى يعتبر علفا رئيسيا للحيوانات اكلة

الأعشاب كالأنعام، وغيرها من أعشاب المراعى، والأعلاف، ونباتات الزهور، والنباتات الطبية.

(٣) والتعبير القرآني ﴿ **وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا** ﴾ يشير إلى عائلتين من أهم العائلات النباتية هما: العائلة الزيتونية، والعائلة النخيلية، والأولى: تشمل (٢٢) جنسا، و(٥٠٠) نوع من أنواع الأشجار الزيتونية وهى أشجار معمرة، فأشجار الزيتون تعيش لأكثر من ألفي سنة، وهي شجرة مباركة كما وصفها القرآن الكريم ونعتتها أحاديث رسول الله – ﷺ – . أما العائلة النخيلية فتشمل (٢٠٠) جنس وأكثر من أربعة آلاف نوع من أنواع النخيل، والنخيل من أكثر النباتات احتمالا للجفاف والملوحة، وتنمو في المناطق الحارة الجافة والمعتدلة، وثمارها ومنتجاتها تعتبر من أهم المصادر النباتية التي اعتمد عليها الإنسان فى حياته منذ وطئت قدماه هذه الأرض.

(٤) والتعبير القرآني: ﴿ **وَحَدَآئِقَ غُلْبًا** ﴾ أي: حدائق عظاما، غليظة الأشجار ملتفة الأغصان لتشمل الغالبية الباقية من أنواع النباتات، خاصة. نباتات الظل، والزينة، والأخشاب، كما تشمل الكثير من نباتات الثمار المختلفة التي لا تنضوى في المجموعات السابقة.

(٥) أما التعبير القرآني: ﴿ **وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا** ﴾ فيركز على نباتات الفاكهة المختلفة التي لا تحتويها المجموعات السابقة من مثل العائلات التوتية وتشمل التين والجميز، والتوت، وغيرها، والوردية وتشمل المشمش، والخوخ، والبرقوق، والكريز، واللوز في تحت العائلة المشمشية، والتفاح والكمثرى والبشملة، والسفرجل في تحت العائلة التفاحية والسذبية (عائلة الموالح) وغيرها.

أما (الأب) فهو الكلأ والمرعى، وما تأكله البهائم كالأنعام من العشب، وغيره من أنواع النبات رطبا كان أو يابسا (مثل التين).

وهكذا نرى في هذا التسلسل المعجز لخمس آيات قصار لا تشغل أكثر من سطرين استعراضا لأهم النباتات التي تشكل الطعام الرئيسي لكل من الإنسان وأنعامه؛ لذا ختمت بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ** ﴾.

وعلوم تقسيم الحياة بصفة عامة، وعلم تقسيم النبات بصفة خاصة هي علوم مستحدثة في تاريخ الإنسان بدأت مع منتصف القرن الثامن عشر الميلادى، ولم تتبلور إلا في أواخر القرن العشرين. واستعراض الآيات التي نحن بصددها لأهم مجموعات النبات في طعام كل من الإنسان

وأنعامه بهذه البساطة والدقة، والشمول والإحاطة، لما يقطع بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، ويشهد بالنبوة والرسالة للرسول الخاتم الذي تلقاه، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبع هداه، ودعا بدعوته إلى يوم الدين.. والحمد لله رب العالمين...

...

ثم أقول:

فتح الله للدكتور/ زغلول النجار، فتحا جميلا ... في تفسير هذه الآيات الست، بدءًا من قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ ...

فأعطى في تفسيرها أفقًا واسعا ... كان تفسير الآيات الكريمة في حاجة إليه ...

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ ...

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1] ؟!

(١) سورة يوسف : ٥.

قال تعالى:

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يُوسُف : ٥].

وجاء في تفسيرها:

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ يحتالون في هلاكك حسدًا، لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب، والشمس أمك، والقمر أبوك.

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ ظاهر العداوة.

...

قال تعالى:

﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ [الفُرْقَان : ٢٩].

وجاء في تفسيرها:

﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ﴾ أي القرآن.

﴿بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِي﴾ بأن ردني عن الإيمان به .

قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ﴾ الكافر.

﴿خَذُولٗا﴾ بأن يتركه، ويتبرأ منه عند البلاء.

...

قال تعالى:

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحَشْر : ١٦].

وقالوا في تفسيرها:

مثلهم أيضًا في سماعهم من المنافقين، وتخلفهم عنهم.

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كذبًا منه، ورياءً.

ثم أقول: في الآية الأولى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ...

وفي الثانية: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفُرْقَان : ٢٩] ...

وفي الآية الثالثة: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ [الحَشْر : ١٦] ...

ثلاث مهلكات يسلطها الشيطان – عليه اللعنة – على كل إنسان ...

١- عداء شديد للإنسان ...
٢- خذول للإنسان عن اي خير ...
٣- يزين للإنسان الكفر حتى يكفر ثم يتبرأ منه !!!

عدو مبين ... عدو ظاهر العداوة لكل إنسان ... هو القوة المضادة في تركيب كل إنسان ... كلما اتجه الإنسان إلى ربه فآمن ... سارع إليه، وقال له : ﴿ٱكْفُرْ﴾ ... فيصدقه الإنسان ويكفر ... فيزيده حسرة على حسرة، ويقول له ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ !!!

هو أخطر عدو لكل إنسان ... وخطورته أنه عدو غير مرئي ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأَعْرَاف : ٢٧] !!!

إذا هممت بخير خذلك، وسخف لك هذا الخير ...

وما يزال بالإنسان (الكافر) يزين له الكفر حتى يكفر، ويخسر الخسران المبين ... فإذا رآه كذلك قال له ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ !!!

ألا لعنة الله عليه !!!

﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ
حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ
لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا[1] ﴾؟!

(١) سورة الانسان : ١.

قال تعالى:

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسَان : ١ - ٣].

وجاء في تفسيرها:

﴿هَلْ﴾ قد.

﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ آدم.

﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ أربعون سنة.

﴿لَمْ يَكُن﴾ فيه.

﴿شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ كان فيه مصورا من طين لا يذكر.

أو: المراد بالإنسان الجنس، وبالحين مدة الحمل.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجنس.

﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أخلاط.

﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ نختبره بالتكليف.

أي: مريدين ابتلاءه حين تأهله.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ بسبب ذلك.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ بينا له طريق الهدى ببعث الرسل.

﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ أي مؤمنا.

﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ حالان من المفعول، أي: بينا له في حال شكره أو كفره المقدرة، وإما لتفصيل الأحوال.

فماذا عند ابن كثير:

يقول تعالى مخبرا عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئا يذكر لحقارته، وضعفه فقال تعالى: ﴿ **هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا** ﴾.

ثم بين ذلك فقال ﷻ ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ** ﴾ أي أخلاط.

وقوله تعالى ﴿ **نَّبْتَلِيهِ** ﴾ أي: نختبره.

﴿ **فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا** ﴾ أي: جعلنا له سمعا، وبصرا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية.

وقوله جل وعلا ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ** ﴾ أي بيناه له، ووضحناه، وبصرناه، كقوله جل وعلا ﴿**وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ** ﴾ أي: بينا له طريق الخير، وطريق الشر.

وقوله تعالى ﴿ **إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾ فهو في ذلك إما شقي، وإما سعيد.

عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة، حتى يعرب عنه لسانه، إما شاكرًا وإما كفورًا » [أخرجه أحمد واللالكائى والديلمى واللفظ له].

...

ثم أقول:

ثلاث آيات محكمات ... بينت مرحلة لا تذكر من خلق الإنسان ...

فيقول:

﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ** ﴾ كل إنسان.

﴿ **مِن نُّطْفَةٍ** ﴾ من حيوان منوي ... لا يرى بالعين المجردة ... حيث إن القذف الواحد فيه مئات الألوف ... بل الملايين من الحيوانات المنوية ...

ومن هذا الحيوان الذي لا يرى خلق الإنسان ...

﴿ **أَمْشَـاجٍ** ﴾ أخلاط ... حين يلقح هذا الحيوان المنوي بويضة الأنثى ... تبدأ مرحلة الأمشاج ...

وكان يمكن أن يذهب هذا الحيوان المنوي الذي أخصب البويضة، كان يمكن أن يذهب سدى مع ملايين غيره التي لم تستطع أن تدخل البويضة ...

بداية كائن لم يكن شيئا مذكورا ...

فهل تفكر كل إنسان في تلك المرحلة التي مر بها حين كان جنينا ؟!

إنه نسيها؛ لأنه لم يشهدها ... وهل شهد أحدٌ نفسه، وهو يتكون داخل رحم أمه ؟!

لم يحدث هذا ...؛ لأن الإنسان كان جنينا لا يستطيع أن يبصر أو يسمع !!!

جاءت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿**أَوَ لَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا**﴾ [مَرْيَم : ٦٧].

وكيف يستطيع الإنسان أن يذكر شيئا لم يره ...، ولم يشهده !!!

ولكن على كل إنسان أن يعلم علم اليقين أنه لم يكن شيئا مذكورا !!!

وأنه كان بشرًا سويًا حين أراد الله له أن يكون !!!

﴿ **إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ** ﴾ بينا له طريق الخير، وطريق الشر ...، وعليه أن يختار.

﴿ **إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾ .

﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ
إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (١)﴾؟!

(١) سورة الاحزاب : ٧٢.

قال تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢ - ٧٣].

وجاء في تفسيرها:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ الصلوات، وغيرها مما في فعلها من الثواب، وتركها من العقاب.

﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيها فهما، ونطقا.

﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾ خفن.

﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ آدم بعد عرضها عليه.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بما حمله.

﴿جَهُولًا﴾ به.

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ﴾ اللام متعلقة بعرضنا المترتب عليه حمل آدم.

﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ المضيعين الأمانة.

﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ المؤدين الأمانة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للمؤمنين.

﴿رَّحِيمًا﴾ بهم.

...

فماذا عند ابن كثير من إضافات؟!

عن ابن عباس يعني بالإمانة الطاعة، عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها،

فقال لآدم: إني قد عرضت الأمانة على السماوات والأرض، والجبال فلم يطقنها، فهل أنت آخذ بما فيها؟

قال: يارب، وما فيها؟

قال: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت.

فأخذها آدم فتحملها، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

وقيل: هي التكليف، وقبول الأوامر، والنواهي بشرطها، وهي أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه، وجهله، وظلمه، إلا من وفق الله والله المستعان.

وقال ابن زيد:

« إن الله تعالى عرض عليهن الأمانة أن يفترض عليهن الدين، ويجعل لهن ثوابا وعقابا، ويستأمنهن على الدين

فقلن: لا، نحن مسخرات لأمرك، لا نريد ثوابا ولا عقابا.

قال: وعرض الله تبارك وتعالى على آدم فقال بين أذني، وعاتقي ... إلى آخره ».

وقوله تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ أي: إنما حمل بني آدم الأمانة، وهي التكليف ليعذب الله المنافقين منهم، والمنافقات، وهم الذين يظهرون الإيمان خوفا من أهله، ويبطنون الكفر متابعة لأهله.

﴿ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسله.

﴿ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ أي: وليرحم المؤمنين من الخلق الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ...

...

ثم أقول:

حمل الإنسان ما أبت السماوات والأرض، والجبال أن يحملنها، وأشفقن منها !!!

فما معنى هذا ؟!

لعل المعنى العميق ... أن السماوات بما فيهن من مجرات، ونجوم ...

وأن الأرض بما عليها من دواب، وما في باطنها من كائنات ...

وأن الجبال الرواسي الشامخات رغم صلابتها وقوتها ...

كل هذه العوالم لا تصلح لحمل الأمانة رغم ضخامتها ...

وأن الإنسان ... هذا الكائن الضئيل الحجم هو الذي يصلح لحمل الأمانة !!!

لماذا ؟!!

؛ لأن الله تعالى ركبه من أجل التكليف ...

ركبه كائنا يستطيع أن يفعل ما شاء بمحض اختياره ...

إن شاء شاكرا ...، وإن شاء مؤمنا ...، وأعطاه الأداة التي يستطيع بها أن يفكر في أمره ...

أعطاه العقل ...، وقال له: افعل ولا تفعل ...

أمره ... ونهاه ...

فإن أطاع الأمر ... كافأه جنات فيها ما لا عين رأت ...

وإن عصى ... أعطاه الفرصة ليتوب ... فإن تاب عفا عنه ...

وإن أصر واستكبر وكفر ومات على ذلك فالنار موعده ...

والآن نسأل سؤالا خطيرًا:

لماذا رفضت السماوات والأرض والجبال أن تحمل أمانة التكليف، وحملها الإنسان الضعيف ؟!

؛ لأن الإنسان هو المؤهل لذلك ... هو الذي ركبه الله التركيب الصالح لحمل أمانة التكليف

أما تلك العوالم الضخام فإنهن مسخرات ... فلا تكلف ... ثم تجازى خيرًا أو شرًا !!!

ولعل هذا هو سر المسألة وجوهرها !!!

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ[1]﴾؟!

(١) سورة يونس : ١٢.

قال تعالى:

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [يونس : ١٢].

وجاء في تفسيرها:

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ الكافر.

﴿ ٱلضُّرُّ ﴾ المرض، والفقر.

﴿ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾ أي مضطجعا.

﴿ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾ أي في كل حال.

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ ﴾ على فكره.

﴿ كَأَن ﴾ أي: كأنه.

﴿ لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ ﴾ كما زين له الدعاء عند الضرر، والإعراض عند الرخاء.

﴿ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ المشركين ﴿ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

...

فماذا عند ابن كثير؟!

قال: « يخبر تعالى عن الإنسان، وضجره، وقلقه إذا مسه الضر، وذلك؛ لأنه إذا أصابته شدة قلق لها، وجزع منها، وأكثر الدعاء عند ذلك، فدعا الله في كشفها، ورفعها عنه في حال اضطجاعه وقعوده وقيامه، وفي جميع أحواله.

فإذا فرج الله شده، وكشف كربته أعرض، ونأى بجانبه، وذهب كأنه ما كان به من ذلك شيء

ثم ذم تعالى من هذه صفته، وطريقته فقال: ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

فأما من رزقه الله الهداية، والسداد والتوفيق والرشاد فإنه مستثني من ذلك كقوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ .

وكقول رسول الله – ﷺ –: « عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له: إن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له وإن أصابته سراء فشكر كان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن » [صحيح مسلم].

...

ثم أقول:

الجديد عند ابن كثير أنه اعتبر ما جاء بالآية يصيب جميع جنس الإنسان ... بينما ذهب السيوطي إلى أن المراد الإنسان الكافر ...

ولا خلاف بينهما ... فيمكن أن يقال كل إنسان هكذا ...

إلا من وفقه الله فدعا الله في الشدة ... وشكره في رفع هذه الشدة ... « وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن » – كما جاء في الحديث —

والآن ... ماذا على كل إنسان مؤمن ؟!

عليه كما كان يواصل دعاء الله في ضره ... أن يواصل شكر الله أن كشف عنه ضره ... « وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن » !!!

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ
إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ(١)﴾؟!

(١) سورة هود : ٩.

قال تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هُود : ٩ - ١١].

...

وقال ابن كثير في تفسير الآيات:

« يخبر تعالى عن الإنسان، وما فيه من الصفات الذميمة، إلا من رحم الله من عباده المؤمنين. أنه إذا أصابته شدة بعد نعمة حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفر وجحود لماضي الحال كأنه لم ير خيرًا، ولم يرج بعد ذلك فرجا.

وهكذا إن أصابته نعمة بعد نقمة ﴿ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ﴾ أي: يقول: ما ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء ﴿ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ أي: فرح بما في يده، بطر فخور على غيره.

قال الله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ أي على الشدائد والمكاره ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي في الرخاء والعافية ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ أي: بما يصيبهم من الضراء ﴿ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ بما أسلفوه في زمن الرخاء.

كما جاء في الحديث:

« والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم، ولا غم، ولا نصب، ولا وصب، ولا حزن، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها من خطاياه » [صحيح مسلم].

وفي الصحيحين:

« والذي نفسي بيده، لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له،

« وليس ذلك لأحد غير المؤمن » .

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا
ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ
إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ[1] ﴾؟!

(١) سورة الزمر : ٤٩.

قال تعالى:

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾

[الزُّمَر: ٤٩ - ٥٠].

...

فماذا عند ابن كثير في تفسيرها؟!

قال:

« يقول تبارك وتعالى مخبرا عن الإنسان، أنه في حال الضراء يتضرع إلى الله -ﷻ- وينيب إليه ويدعوه، وإذا خوله نعمة منه بغى وطغى وقال ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ أي: لما يعلم الله تعالى من استحقاقي له، ولولا أني عند الله خصيص لما خولني هذا !!!

قال قتادة: ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ على خير عندي.

قال الله - ﷻ - ﴿ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ ﴾ أي: ليس الأمر كما زعم بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه، أيطيع أم يعصي؟ مع علمنا المتقدم بذلك، فهي فتنة أي اختبار.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فلهذا يقولون ما يقولون، ويدعون ما يدعون!

﴿ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي قد قال هذه المقالة، وزعم هذا الزعم، وادعى هذه الدعوى كثير ممن سلف من الأمم !!!

﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ أي: فما صح قولهم، ولا نفعهم جمعهم، وما كانوا يكسبون ... إلى آخر ما قال » .

...

ثم أقول:

خطأ فاحش يتوهمه الإنسان ... إذا خوله ربه نعمة منه قال: ﴿ **إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ** ﴾ ... أي: لما يعلم الله تعالى من استحقاقي له !!!

وهذا زعم فاسد ﴿ **بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ** ﴾ ... إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره، فيما أنعمنا عليه، أيطيع أم يعصي؟ فهي فتنة أي اختبار !!!

ثم ماذا ؟!

ثم هناك كثير من الناس يقعون في هذا الخطأ الفاحش ... ويظنون أنهم أوتوا ما أوتوا لاستحقاقهم هذا الإنعام ... وتميزهم بعبقريته ينفردون بها ... كما قال قارون ﴿**إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ**﴾ ... على عبقرية عندي وليست عند غيري !!!

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ (١)﴾؟!

(١) سورة ق : ١٦.

وقالوا في تفسير الآية، وما بعدها:

﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ** ﴾ حال بتقدير نحن .

﴿ **مَا تُوَسْوِسُ** ﴾ تحدّثُ.

﴿ **بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ** ﴾ بالعلم.

﴿ **مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ** ﴾ والوريدان عرقان بصفحتي العنق.

﴿**إِذْ يَتَلَقَّى** ﴾ يأخذ، ويثبت.

﴿ **ٱلْمُتَلَقِّيَانِ** ﴾ الملكان الموكلان بالإنسان ما يعمله.

﴿ **عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ** ﴾ منه.

﴿ **قَعِيدٌ** ﴾ أي: قاعدان.

﴿ **مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ** ﴾ حافظ.

﴿ **عَتِيدٌ** ﴾ حاضر.

﴿ **وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ** ﴾ غمرته، وشدته.

﴿ **بِٱلْحَقِّ** ﴾ من أمر الآخرة، حتى المنكر لها عيانًا، وهو نفس الشدة.

﴿ **ذَٰلِكَ** ﴾ أي الموت.

﴿ **مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** ﴾ تهرب، وتفزع.

...

وماذا عند ابن كثير من إضافات ؟!

قال:

« يخبر تعالى عن قدرته على الإنسان بأنه خالقه، وعلمه محيط بجميع أموره، حتى إنه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر.

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله – ﷺ – أنه قال:

« إن الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل » [أخرجه البخارى ومسلم واللفظ له].

وقوله ﷻ ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ** ﴾ يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، بإقدار الله – ﷻ – لهم على ذلك.

وقال الأحنف بن قيس: « صاحب اليمين يكتب الخير، وهو أمين على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة قال له: أمسك، فإن استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها، وإن أبي كتبها ».

وقوله تبارك وتعالى ﴿**وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** ﴾ يقول – ﷻ –: وجاءت أيها الإنسان سكرة الموت بالحق، أي كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه ﴿**ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** ﴾ أي: هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد، ولا مناص، ولا فكاك ولا خلاص.

والصحيح أن المخاطب بذلك الانسان من حيث هو.

وقد ثبت في الصحيح، عن النبي – ﷺ –: « أنه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: سبحان الله إن للموت لسكرات » .

...

ثم أقول:

هذه لحظة رهيبة، لابد لكل انسان أن يذوقها ... مهما كان وكيف كان !!!

وأعني بها لحظة الموت ... لحظة الفراق ... لحظة خروج الإنسان من قوانين الحياة الدنيا إلى قوانين الحياة الآخرة !!!

لحظة فاصلة ... إذا نزلت بك فلا عودة البتة إلى الحياة الدنيا !!!

﴿ **وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ** ﴾ إغماءة الموت ...

﴿**كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ**﴾ [الأَحْزَاب : ١٩].

﴿ **بِٱلْحَقِّ** ﴾ بالواقع الذي لا فكاك لأحد منه.

﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ** ﴾ !!!

﴿ **لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ** ﴾ !!!

لقد كنت أيها الإنسان في حجاب من هذا ... فكشفنا عنك غطاءك ... أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم ... ﴿ **فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ** ﴾ حاد تدرك به ما أنكرته في الدنيا !!!

فجأة ... بغتة ... إنما هي لحظة ... تجد نفسك جثة هامدة ... كأن لم تكن !!!

لحظة ؟!!

لو تفكر فيها الإنسان لانكمش عن أي معصية ... وفزع إلى ربه تائبا !!!

اللهم إنا نسألك أن تهون علينا سكرات الموت !!!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ (١) ﴾؟!

(١) سورة الانفطار : ٩.

وقالوا في تفسير الآية، وما بعدها:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ * فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفِطَار: ٦ - ٨].

...

وقالوا في تفسيرها:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ أي: ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم، أي: العظيم، حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق؟

كما جاء في الحديث:

« يقول الله تعالى يوم القيامة: يا ابن آدم ما غرك بي؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟ »

« عن ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، أن عمر سمع رجلا يقرأ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ فقال عمر: الجهل » .

« وعن يحيى البكاء: سمعت ابن عمر يقول، وقرأ هذه الآية قال ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ ابن عمر: غره والله جهله » .

وروى عن ابن عباس، والربيع بن خيثمن والحسن مثل ذلك .

« وقال قتادة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾: ما غر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان »

« وقال الفضيل بن عياض: لو قال لي: ما غرك بي؟ لقلت: ستورك المرخاة.

« وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي: ما غرك بربك الكريم؟، لقلت: غرني كرم الكريم » .

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ أي: ما غرك بالرب الكريم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾، أي: جعلك سويًا مستقيما، معتدل القامة، منتصبها، في أحسن الهيئات والأشكال.

« قال الإمام أحمد ... عن بشر بم جحاش القرشي: أن رسول الله – ﷺ –بصق يوما في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال:

قال الله –ﷻ –: يا ابن آدم، أنى تعجزني، وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا سويتك، وعدلتك، مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد فجمعت، ومنعت حتى إذا بلغت التراقي

قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة؟ ﴿ **فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ** ﴾ بقدرته، ولطفه، وحلمه خلقك على شكل حسن مستقيم معتدل، تام، حسن المنظر والهيئة » .

...

فهل أتم تفسيرها؟!

لقد أعطى ابن كثير خطوطا عريضة في معانيها ...

ولكن معانيها المفصلة لا تتناهى عجائبها !!!

وحسبنا أن نفكر في قوله تعالى ﴿ **فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ** ﴾!!!

يقولون أن عدد سكان الكرة الأرضية الآن من البشر نحو ستة آلاف مليون وخمسمائة مليون (٦,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠) آدمي ... ومن عجائب هذا الأمر ... أن كل إنسان من هؤلاء الملايين يختلف عن أي إنسان في كل شيء !!!

في الصورة ... في الطول ... في العرض ... في الهيئة ... في الميول ... في التفكير ... في الصوت ... في البصمات ... حتى بصمات العيون ...

وبصمات الأرجل ... وبصمات الصوت !!!

لايوجد إنسان يتطابق مع إنسان آخر تمام التطابق !!!

لابد من وجود اختلاف ما بين هذا وذاك !!!

ليس ذاك وحده ... بل القرون التي سوف تأتي إلى أن تقوم الساعة ...

كل فرد فيها يختلف عن كل فرد فيها !!!

فما معنى هذا ؟!

معناه قدرة خلاقة ... أبدعت هذه الأعاجيب ...

وهو الله وحده القادر على أن يبدع كائنات لا تحصى، متحقق فيها اختلاف لا يحصى !!

في أي صورة ما شاء ؟!! ... ما شاء هو سبحانه ... ولا أحد يقدر على هذا سواه !!!

ركبك ؟!!

وهذه الأخرى ... إعجاز وحدها !!!

كيف ركب الله الإنسان ؟!

سلو الباحثين والأطباء في أنحاء العالم ... كيف حدث هذا التركيب وما فيه من آيات الإبداع؟

وإلى هنا أمسك القلم ...

وأقول: الله أعلم

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (١)﴾؟!

(١) سورة ابراهيم : ٣٤.

قال عز وجل:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ * وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٣٢ - ٣٤].

وقالوا في تفسيرها:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن.

﴿لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ بالركوب، والحمل.

﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بإذنه.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ جاريين في فلكهما لا يفتران.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه.

﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ لتبتغوا فيه من فضله.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ على حسب مصالحكم.

﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ بمعنى إنعامه.

﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ لا تطيقوا عدها.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكافر.

﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ كثير الظلم لنفسه بالمعصية، والكفر لنعمة ربه.

...

فهل عند الإمام ابن كثير من جديد ؟!

قال:

﴿ **وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ** ﴾ يقول: هيألكم كل ما تحتاجون إليه في جميع أحوالكم، مما تسألونه بحالكم وقالكم.

وقال بعض السلف: من كل ما سألتموه، وما لم تسألوه.

وقوله ﴿ **وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ** ﴾ يخبر تعالى عن عجز العباد عن تعداد النعم، فضلا عن القيام بشكرها.

كما قال طلق بن حبيب – رحمه الله –: « إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد، ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين ».

وفي صحيح البخاري، أن رسول الله – ﷺ –كان يقول: « اللهم لك الحمد، غير مكفي، ولا مودع، ولا مستغني عنه ربنا ».

وقد روى في الأثر، أن داود – عليه السلام – قال:

« يارب كيف أشكرك وشكري لك نعمة منك علي؟ فقال الله تعالى: الآن شكرتني يا داود ».

أي: حين اعترفت بالتقصير عن أداء شكر المنعم.

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله –: « الحمد لله الذي لا يؤدي شكر نعمة من نعمة، إلا بنعمة حادثة، توجب على مؤديها شكره بها ».

...

ثم أقول:

﴿ **وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ** ﴾؟!!

ها هنا سؤال خطير: كيف هذا، والواقع يقول: لم يحصل الناس على كل ما يلزمهم في الحياة؟!!

حتى الآن ينقص الناس كثير من مطالب الحياة ... والقرآن حق ... فما معنى ﴿ **وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ** ﴾ بعد هذا المفهوم ؟!

المفتاح إن شاء الله في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ** ﴾ [فُصِّلَت : ١٠].

فالأرض بارك الله فيها ...، وقدر فيها أقواتها ... جعل فيها جميع ما يلزم جميع سكانها من الأقوات ...

وهذه الأقوات نامية نموا دائما ﴿ **وَبَٰرَكَ فِيهَا** ﴾ وهذا معنى والبركة هي الزيادة والنمو ...

فمجموع ما يمكن أن تنتجه الكرة الأرضية من الأقوات ... يكفي سكان الأرض جميعا وزيادة ...

وإنما جاء نقص حاجات الناس من سوء التوزيع ... أو ظلم بعض الناس لغيرهم ... فينهبوا أقوات الشعوب ...

﴿ **وَءَاتَىٰكُم** ﴾ أيها الناس.

﴿ **مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ** ﴾ من مطالب حياتكم ...

فإن كان هناك نقص فابحثوا عمن نهب أقواتكم، ومنعها عنكم ؟!...

فعلى هذا المفهوم يمكن أن يقال: خلق الله الكرة الأرضية ...، وبارك فيها ...، وقدر فيها أقواتها ...

فلما تم إعداد الأرض بجميع مايلزم لحياة الناس ... خلق الإنسان ... ليعمرها !!!

فمن أين جاء النقص في الأقوات المقدرة تقديرا محكما من الله ؟

من عدم استغلال الموارد الطبيعية في الأرض ...

هناك مساحات ضخمة من الأراضي الزراعية في أفريقيا لم تستغل ...، وغيرها من القارات

خذ مثالا على ذلك السودان، نحو سبعين مليون فدان أرض بكر لم تستغل حتى الآن !!!

وفي استراليا مساحات شاسعة لا تجد من يستغلها ... وهكذا ... فتش في أنحاء الأرض، تجد أغلبها مهملاً ... إما من الإنسان ... وإما ممن ظلم الإنسان كدول الاستعمار التي نهبت افريقيا وتركت أهلها حفاة عراة !!!

وهناك كميات ضخمة من الأمطار التي تنزل سنويا على الأرض لم تستغل وتذهب هباء!!

مثال ذلك مياه منابع نهر النيل يقول الخبراء: مجموع المستغل منها نحو ١٧٪ من كميتها، والباقي يذهب هباء !!!

ولو استغلت مياه منابع النيل بأكملها لتحولت الأقطار التي يجري فيها النيل إلى جنات!!!

وهناك شعوب كسولة تتشاءب ليل نهار ... ولا تعمل، وهذه طاقات جبارة لو نشطوا، وعملوا لا نفحت عليهم خزائن الأرزاق ...

إنه الإنسان ... يلوم المقادير ... وهو المجرم الملوم ...

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ !!!

فيها إشارة إلى إجرام الإنسان ...

حين ظلم غيره، ومنع الإفادة من الأرض أو من الأمطار ... التي قدرها الله بحيث تكفي سكان الأرض وزيادة !!!

...

وها هنا تتفجر نظرية على الغاية من الخطورة ؟!

تتفجر من إشاعات قوله تعالى ﴿ **وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ** ﴾ ...

ومضمون هذه النظرية:

من حيث إن الله هو الذي دبر مطالب حياة الناس في الكرة الأرضية ...

ومن حيث إن الله تعالى قادر قدير، لطيف كريم ... فقد قدر أقوات الأرض تكفي سكانها مهما تكاثروا ... بل وقابلة للزيادة كلما أحسنوا استغلال هذه الأقوات ...

ومن حيث أن واقع الحياة أن هناك ملايين من الجوعى في أنحاء الأرض ...

فمعنى هذا أن هناك أسبابًا أدت إلى عجز الأرض عن إمداد هؤلاء الجوعى بما يلزمهم ...

وهذه الأسباب ترجع إلى ترك الناس مساحات شاسعات من الأرض بغير استغلال ...

أو نهب طوائف من الناس كالمستعمرين الأوربيين حين نهبوا إفريقيا، وتركوها جائعة ...

كما تهمل كميات من الأمطار الساقطة على الارض، ولا يستفاد منها ... كمياه منابع النيل ...

فالإنسان هو الظلوم للناس ...، وهو الكفار بنعمة الله ...

﴿ **وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ** ﴾ !!!

والله أعلم

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ
إِلَّا مَا سَعَىٰ (١) ﴾؟!

(١) سورة النجم : ٣٩.

قال تعالى:

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾ [النَّجْم : ٣٦ - ٤١].

...

وجاء في تفسيرها:

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾

قال قتادة: (وَفَّىٰ) طاعة الله، وأدى رسالته إلى خلقه.

ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال:

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي: كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب، فإنما عليها وزرها لا يحمله عنها أحد.

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ أي: كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه.

﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾ أي: الأوفر.

أي: يخبركم به، ويجزيكم عليه أتم الجزاء، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

...

فماذا عن السيوطي من جديد ؟!

قال:

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ أسفار التوراة، أو صحف قبلها.

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ تمم ما أُمر به نحو ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ .

﴿ أَ ﴾ ن.

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي: لا تحمل نفس ذنب غيرها.

﴿ وَأَن ﴾ أي أنه.

﴿ لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ من خير، فليس له من سعي غيره الخير شيء.

﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ يبصره في الآخرة.

﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ الأكمل، يقال: جزيته سعيه وبسعيه.

...

ثم اقول:

في قوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ إشارة عظمية إلى العدل المطلق.

ولا تحمل نفس ذنب أخرى.

وليس للإنسان إلا ما سعى.

ثم إعلام إلى جميع الناس أن ذلك سنة من سننه تعالى في الأقدمين ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ !!!

﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ[1] ﴾؟!

(١) سورة العلق : ٥.

قال تعالى:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العَلَق : ١ - ٥].

...

وجاء في تفسيرها:

﴿ ٱقْرَأْ ﴾ أوجد القراءة مبتدئا

﴿ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ الخلائق

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ الجنس

﴿ مِنْ عَلَقٍ ﴾ جمع علقة، وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ

﴿ ٱقْرَأْ ﴾ تأكيد للأول

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ الذي لا يوازيه كريم، حال من الضمير في اقرأ

﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ ﴾ الخط

﴿ بِٱلْقَلَمِ ﴾ وأول من خط به إدريس – عليه السلام –

﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ الجنس

﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ قبل تعليمه، من الهدى، والكتابة، والصناعة، وغيرها.

...

فهل عند ابن كثير من جديد ؟!

قال: [تفسير سورة اقرأ – وهي أول شيء نزل من القرآن]

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ .

قال الإمام أحمد ... عن عائشة قالت: أول ما بدىء به رسول الله – ﷺ – من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم

فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد.

ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيزود لمثلها، حتى فجأه الوحي، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه، فقال: اقرأ قال رسول الله – ﷺ–: فقلت: ما أنا بقاريء

قال– فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ

فقلت: ما أنا بقاريء

فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ

فقلت: ما أنا بقاريء

فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق (حتى بلغ – ما لم يعلم).

قال: فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة.

فقال: زملوني زملوني.

فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: يا خديجة مالي

وأخبرها الخبر وقال: قد خشيت على نفسي

فقالت له: كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة، أخي أبيها، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرا قد عمى

فقالت خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك

فقال ورقة: ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله – ﷺ – بما رأى

فقال ورقة: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى، ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيًا حين يخرجك قومك،

فقال رسول الله – ﷺ –: أومخرجي هم؟

فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا.

ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله – ﷺ – ... » إلى آخره

...

فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات.

وهن أول رحمة رحم الله بها العباد

وأول نعمة أنعم الله بها عليهم

وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة

وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه، وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة

والعلم تارة يكون في الأذهان. وتارة يكون في اللسان. وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذهني ولفظي ورسمي.

والرسمي يستلزمهما من غير عكس.

فلهذا قال ﴿ **ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾.

وفي الأثر: قيدوا العلم بالكتابة.

وفيه أيضا: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم.

...

ثم أقول:

في قوله تعالى ﴿ **ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ** ﴾ إعجاز تحار فيه العقول !!!

فيه إشارة عجيبة إلى أن أي علم يتعلمه أي إنسان يبدأ بالقلم، مهما ارتقى الإنسان، أو تنوعت أنواع الكتابة والتسجيل ...

تتبع ذلك في الكتب، في الصحف، في الكمبيوتر ... في جميع أنواع التسجيل الصوتي أو المرئي ...

لن يكون ذلك إلا « بالقلم » !!!

وهذه نظرية تتفجر من الآية العظيمة ... وما عليك إلا أن تتابع جميع أنواع الإنتاج الفكري البشري ... في جميع مظاهر التسجيل وسوف تجدها إن شاء الله حقا ؟!!

لماذا ؟! ...؛ لأن أي فكرة تبدأ بكلمة ... سجلها قلم !!!

قد تتحول هذه الكلمات ... إلى كتب ... أو أفلام ... أو صوتيات ... أو مرئيات ...

ولكن الأصل فيها «كلمة » ... خطها قلم !!!

تجد ذلك كله مكنونا في قوله – ﷻ –: ﴿ **نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** ﴾!!!

صدق الله العظيم !!!

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ
إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ(١) ﴾؟!

(١) سورة الانشقاق : ٦.

قال تعالى:

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴾ [الانشِقَاق: ١ - ٦].

...

فماذا قالوا في تفسيرها؟!

يقول تعالى ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ وذلك يوم القيامة.

﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا ﴾ أي: استمعت لربها، وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق، وذلك يوم القيامة.

﴿ وَحُقَّتْ ﴾ أي وحق لها أن تطيع أمره؛ لأنه العظيم الذي لا يمانع، ولا يغالب، بل قد قهر كل شيء، وذل له كل شيء.

ثم قال: ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ أي: بسطت، وفرشت، ووسعت.

﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ أي: ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت منهم.

﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ كما تقدم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ أي: إنك ساع إلى ربك سعيا، وعامل عملا.

﴿ فَمُلَـٰقِيهِ ﴾ ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر.

ويشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسي ... عن جابر قال: قال رسول الله - ﷺ -: «قال جبريل: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه » .

وعن ابن عباس ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ يقول: تعمل عملا تلقى الله به خيرا كان أو شرا.

ثم أقول:

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ ...

خطاب لجنس الإنسان ... خطاب لجميع الناس ...

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾[1] أي ساع.

أي: أن كل إنسان فطره ربه على أن يعمل عملاً ما ...

أو: يسعى سعيا ...

أو: يكدكدًا ...

أو: يكسب كسبا ...

لأن الإنسان طاقة، قوة، وهذه القوة لأبد لها أن تتفجر وتتحرك، وهو ما نسميه بالعمل ..

وهذا العمل سوف تلاقيه أيها الإنسان ﴿ فَمُلَـٰقِيهِ ﴾ ...

والسعيد من جعل عمله صالحا ...؛ لأنه سوف يلاقيه يوم القيامة ...

وفي الآية إشارة عجيبة تفيد أن سعي الإنسان يحقق له ما يأمل إذا كدح فيه كدحا ... إذا كافح في عمله كفاحًا ... مستمرًا ... وتعب فيه تعبا ﴿ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ ...

إشارة عجيبة ... لو فهمها المسلمون والمسلمات ... لاندفعوا إلى الأعمال الصالحات، وتسابقوا إليها !!!

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾

والله أعلم.

---

(١) الكدح: العمل، والسعي، والكد والكسب .

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا [1]﴾؟!

(١) سورة الإسراء : ١٠٠.

قال تعالى:

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴾ [الإِسْرَاء : ١٠٠].

...

وجاء في تفسيرها:

يقول تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه: قل لهم يا محمد لو أنكم أيها الناس تملكون التصرف في خزائن الله، لأمسكتم خشية الإنفاق.

قال ابن عباس وقتادة: أي الفقر، أي خشية أن تذهبوها، مع أنها لا تفرغ، ولا تنفد أبدًا؛ لأن هذا من طباعكم وسجاياكم.

ولهذا قال:

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴾ قال ابن عباس وقتادة: أي: بخيلا منوعا.

وقال الله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾ [النِّسَاء : ٥٣] .

أي: لو أن لهم نصيبا في ملك الله لما أعطوا أحدًا شيئا، ولا مقدار نقير.

والله تعالى يصف الإنسان من حيث هو. إلا من وفقه الله وهداه.

فإن البخل والجزع والهلع صفة له كما قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾.

ولهذا نظائر كثيرة في القرآن الكريم العزيز

ويدل هذا على كرمه، وجوده وإحسانه، وقد جاء في الصحيحين:

« يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض[1] ما في يمينه ».

...

ثم أقول:

في قوله تعالى: ﴿ **وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا** ﴾ ؟!

قال ابن عباس وقتادة: أي: بخيلاً منوعًا ؟!!

ها هنا مفتاح يفتح لنا صفة أصيلة في كل إنسان ... إلا من هذب هذه الصفة من نفسه ... فوفقه ربه أن يغالب البخل الذي يمنعه أن ينفق كما أمره الله ...

لماذا كان الإنسان قتورا ؟!

؛ لأنه ضعيف ... محدود الإمكانيات ... محدود الرزق !!!

وكائن هذا حاله من الحتم أن يكون هكذا !!!

فمن غير المعقول أن تأتي لإنسان رزقه ألف جنيه في الشهر، وتقول له: كن كريما ؟!

وكيف يكون كريما، وهذه الألف لا تكفي ضرورات أسرته؟

إنك تكلفه ما لا يستطيع ... ولهذا كان التوجيه القرآني: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** ﴾ [الطَّلَاق : ٧].

---

(١) لم يغض: لم ينقص.

وقوله تعالى: ﴿**وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ**﴾ أي : ما تنقص.

وهؤلاء الوعاظ الذين يشعلون الشباب في خطاباتهم، ويدعونهم أن يفعلوا كما كان يفعل عمر ... حين كان يخرج عن نصف ماله !!!

هؤلاء قوم أصيبوا بالشطط، ويدعون الشباب إلى الشطط ...

وكان الأولى بهم أن يوجهوهم لينفقوا مما يستطيعون ...

؛ لأن ابا بكر ....، وعمر ....، وهؤلاء العظماء مقاماتهم غير مراتبنا ...

فالعالم الحكيم هو الذي يدعو الناس إلى ما يطيقون !!!

وحسبنا في هذا دليلا قوله تعالى ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**﴾ [الإِسْرَاء : ٢٩].

والله أعلم

﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ[1] ﴾؟!

---

(١) سورة عبس : ١٧.

قال تعالى:

﴿ **قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ* ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ * ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ * ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ**﴾ [عَبَس : ١٦ - ٢٣].

...

وجاء في تفسيرها:

﴿ **قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ** ﴾ لعن الكافر.

﴿ **مَآ أَكْفَرَهُۥ** ﴾ استفهام توبيخ، أي: ما حمله على الكفر؟

﴿ **مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ** ﴾ استفهام تقرير، ثم بينه فقال: ﴿ **مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ**﴾ علقه، ثم مضغة ... إلى آخر خلقه.

﴿**ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ** ﴾ أي: طريق خروجه من بطن أمه.

﴿ **يَسَّرَهُۥ** ﴾

﴿ **ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ**﴾ جعله في قبر يستره.

﴿ **ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ** ﴾ للبعث.

﴿ **كَلَّا** ﴾ حقا.

﴿ **لَمَّا يَقْضِ** ﴾ لم يفعل.

﴿ **مَآ أَمَرَهُۥ**﴾ به ربه.

...

ثم ماذا عند ابن كثير من جديد؟!

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ لعن الإنسان، وهذا لجنس الإنسان المكذب لكثرة تكذيبه، بلا مستند، بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم.

﴿ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾ أي: ما أشد كفره.

وقال ابن جرير: ويحتمل أن يكون المراد: أي شيء جعله كافرا؟

أي: ما حمله على التكذيب بالمعاد.

وقال قتادة:

﴿ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾ ما ألعنه، ثم بين تعالى له كيف خلقه من الشيء الحقير، وأنه قادر على إعادته كما بدأه، فقال تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ ؟

﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ أي: قدر أجله، ورزقه، وعمله، وشقي أو سعيد.

﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴾ ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه.

وقال مجاهد:

هذه كقوله تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ أي: بيناه له، وأوضحناه، وسهلنا عليه علمه.

وكذا قال الحسن وابن زيد، وهذا هو الأرجح ... والله أعلم.

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ أي: أنه بعد خلقه له أماته فأقبره، أي جعله ذا قبر.

والعرب تقول: قبرت الرجل، إذا ولى ذلك منه.

﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾ أي: بعثه بعد موته.

﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ قال ابن جرير: يقول جل ثناؤه: كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدى حق الله عليه في نفسه وماله.

﴿ **لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ**﴾ يقول: لم يؤد ما فرض عليه – ﷺ – من الفرائض لربه عز وجل.

وعن مجاهد: قوله تعالى ﴿**كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ**﴾ قال: لا يقضي أحد أبدًا كل ما افترض عليه.

قال ابن كثير:

والذي يقع لي في معنى ذلك – والله أعلم – أن المعنى:

﴿ **ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ** ﴾ أي بعثه.

﴿**كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ**﴾ أي: لا يفعله الآن حتى تنقضي المدة، ويفرغ القدر من بني آدم، ممن كتب الله أن سيوجد منهم، ويخرج إلى الدنيا، وقد أمر به تعالى كونا وقدرا، فإذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق، وأعادهم كما بدأهم.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

...

ثم أقول:

في الآيات إعجاز بياني عجيب !!!

وفيها إعجاز معاني أعجب !!!

وماذا تظن أن يكون كلام الله تعالى إلا معجزًا في ظاهرة وباطنه !!!

الآيات فيها فيلم تسجيلي لحياة كل انسان ... فكيف كان ذلك ؟!

انظر ... من أي شيء خلقه ؟!

يبدأ من لحظة بداية الإنسان ... ويذكره أن يتذكر متى بدأ يتكون ... ومن أي شيء تكون !!!

من نطفة خلقه فقدره ؟!

إيجاز، وإعجاز ... صور الإنسان من لحظة إخصاب البويضة ... حتى جميع مراحل تكونه داخل رحم أمه !!!

ولكن الأعجب أن يصور لحظة خروجه من بطن أمه ... ﴿ **ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ** ﴾ ... ولو انطبق الرحم لحظة خروج الطفل لكانت مصيبة، وأي مصيبة ... ولكن يسر خروجه من بطنها بقدرته ولطفه !!!

ثم ماذا ؟! ... ثم صور حتمية أخرى ﴿ **ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ** ﴾ !!!

وتلك المراحل كلها حتمية ... ومستحيل أن يفلت منها إنسان ...

حتمًا ... يخلق من إخصاب بويضة !!!

وحتمًا ... يولد ...، ويمر من سبيل أمه !!!

وحتمًا ... يموت !!!

وحتمًا ... يقبر ...، ويوضع في قبر لمواراة جيفته !!!

حتميات ... يمر عليها كل إنسان !!!

إنه فيلم تسجيلي كامل لكل آدمي ... لا يستطيع أحد أن يتأبى عليه !!!

﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ *
ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً
مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى *
وَٱدْخُلِى جَنَّتِى(١)﴾؟!

(١) سورة الفجر : ٢٧ إلى ٣٠.

قال تعالى:

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ * يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ * يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفَجْر : ٢٣ - ٣٠].

...

وقالوا في تفسيرها:

يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة

فقال تعالى ﴿ كَلَّآ ﴾ أي حقا.

﴿ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ أي وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال وقام الخلائق من قبورهم لربهم.

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ يعني لفصل القضاء بين خلقه.

وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق، محمد صلوات الله وسلامه عليه، بعد ما يسألون أولى العزم من الرسل واحدًا بعد واحد فكلهم يقول لست بصاحب ذاكم حتى تنتهي النوبة إلى محمد - ﷺ - فيقول: (أنا لها أنا لها) .

فيذهب فيشفع عند الله تعالى، في أن يأتي لفصل القضاء فيشفعه الله تعالى في ذلك، وهي أول الشفاعات، وهي المقام المحمود.

فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء

والملائكة يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفًا

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ أي: عمله، وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه

﴿ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: وكيف تنفعه الذكرى

﴿ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾ يعني يندم على ما كان سلف منه من المعاصي إن كان عاصيا ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعا

كما قال الإمام أحمد بن حنبل ... عن محمد بن عمرة، وكان من أصحاب رسول الله – ﷺ – قال: لو أن عبدًا خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت في طاعة الله لحقره يوم القيامة، ولود أنه رد إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب.

قال الله تعالى ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴾ أي ليس أحد أشد عذابًا من تعذيب الله من عصاه.

﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴾ أي: وليس أحد أشد قبضا، ووثقا من الزبانية لمن كفر بربه عز وجل.

وهذا في حق المجرمين من الخلائق، والظالمين، فأما النفس الزكية المطمئنة، وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها.

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ * ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ أي: إلى جواره، وثوابه، وما أعد لعباده في جنته.

﴿ رَاضِيَةٗ ﴾ أي: في نفسها.

﴿ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾ أي: قد رضيت عن الله ورضى عنها، وأرضاها.

﴿ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴾ أي: في جملتهم.

﴿ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾ وهذا يقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضًا

كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره، وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا.

وقال العوفي عن ابن عباس: يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ * ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ يعني صاحبك وهو بدنها الذي كانت تعمره في الدنيا ﴿ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾ .

وعن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ * ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾

قال: نزلت وأبو بكر جالس فقال: يارسول الله ما أحسن هذا. فقال « أما إنه سيقال لك هذا »

وعن سعيد بن جبير قال: قرأت عند النبي – ﷺ – ﴿ **يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً** ﴾ فقال أبو بكر – رضي الله عنه –: إن هذا الحسن « فقال له النبي – ﷺ –: أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت » .

عن سعيد بن جبير قال: مات ابن عباس بالطائف، فجاء طير لم ير على خلقته، فدخل نعشه

ثم لم ير خارجا منه فلما دفن، تليت هذه الآية على شفير القبر، لا يدري من تلاها: ﴿**يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى**﴾ .

وروى الحافظ بن عساكر ... حدثني أبو أمامة أن رسول الله – ﷺ – قال لرجل: « قل اللهم إني أسألك نفسا بك مطمئنة، تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك » . آمين

تم والحمد لله

سبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت
أستغفرك وأتوب إليك

كان الفراغ من هذا الكتاب في يوم الجمعة

٢٣ صفر ١٤٢٤ هـ – ٢٥ أبريل ٢٠٠٣ م

واستغرق تأليفه نحو ثلاثة أشهر

وما توفيقي إلا بالله

المؤلف

محمود شلبي

فهرس

البيان	الصفحة
مقدمة	٣
إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا	٥
لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ	٨
إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ	١٧
يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا	٢١
بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ	٢٥
أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ	٣٠
وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا	٣٥
أَقْرَبُ مَا يَكُونُ ... العَبْدُ مِن رَبِّهِ عَزَّ وجَلَّ ... وهُوَ سَاجِدٌ ؟!	٤١
في مخ الإنسان... أربعة عشر بليون... خلية عصبية ... أي ١٤,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠خلية أي أربعة عشر مليون مليون خلية	٤٤
وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا	٤٦
لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	٥٠
وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا	٥٥
لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ	٦٤
أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى	٦٧
فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ	٧٠
إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ	٧٤
كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ	٧٨
فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ	٨١
إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ	٨٩

البيان	الصفحة
هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا	٩٢
وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا	٩٦
وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥ	١٠١
وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ	١٠٤
فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭ	١٠٦
وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ	١٠٩
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ	١١٣
وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ	١١٧
وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ	١٢٣
عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ	١٢٦
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ	١٣١
وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا	١٣٤
قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ	١٣٨
يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ * ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ * فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي * وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي	١٤٣

قائمة مؤلفات الكاتب محمود شلبي

- **القرآن الكريم**

١	الجزء(١ و ٢) من تفسير القران العظيم	دار الفكر. عمان
٢	عجائب بسم الله الرحمن الرحيم	المكتبة العصرية
٣	تفسير الفاتحة	دار المعرفة
٤	تفسير آية الكرسي	دار المعرفة
٥	تفسير جزء عم	دار المعرفة
٦	إشعاعات كلام الله (١- ٢)	المكتبة العصرية
٧	ولقد نادانا (دعاء القرأن)	المكتبة العصرية
٨	أيات سجود القرآن	دار الجيل . لبنان

- **محمد صلى الله عليه وسلم**

٩	حياة رسول الله(صلى الله عليه وسلم)	دار الجيل . لبنان
١٠	حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرنسى	دار الجيل . لبنان
١١	شخصية محمد (١)	الدار التونسية
١٢	شخصية محمد (محمد وتنظيم الحياة ٢)	الدار التونسية
١٣	شخصية محمد(محمد وتحرير الإنسان ٣)	الدار التونسية
١٤	شخصية محمد(محمد والجهاد ٤)	الدار التونسية
١٥	شخصية محمد(محمد ومكارم الأخلاق ٥)	الدار التونسية
١٦	شخصية محمد(محمد المصلح الرحيم ٦)	الدار التونسية
١٧	شخصية محمد(محمد معالج الروح والجسد ٧)	الدار التونسية
١٨	شخصية محمد(محمد معدن الإيمان ٨)	الدار التونسية

١٩	شخصية محمد(محمد المربى الأمين ٩)	الدار التونسية
٢٠	شخصية محمد(محمد سيد الناس ١٠)	الدار التونسية
٢١	شخصية رسول الله (١-٤ أجزاء)	دار الجيل . لبنان
٢٢	صلاة رسول الله	مكتبة الآداب
٢٣	صيام رسول الله(صلى الله عليه و سلم)	مكتبة الآداب/ دار المعرفة
٢٤	دعاء رسول الله	مكتبة الآداب
٢٥	صوت النبي (١)	المكتبة العصرية
٢٦	نبى الحياة	مكتبة عز الدين
٢٧	محمد ... حق	المكتبة العصرية
٢٨	من دعاء رسول الله	(مكتبة القاهرة)على يوسف سليمان

- **من سير الانبياء**

٢٩	حياة آدم	دار الجيل . لبنان
٣٠	حياة نوح	دار الجيل . لبنان
٣١	حياة إبراهيم	دار الجيل . لبنان
٣٢	حياة موسى	دار الجيل . لبنان
٣٣	حياة المسيح	دار الجيل . لبنان
٣٤	حياة إسماعيل	دار الجيل . لبنان
٣٥	حياة يوسف	دار الجيل . لبنان
٣٦	حياة داود	دار الجيل . لبنان
٣٧	حياة سليمان	دار الجيل . لبنان
٣٨	حياة أيوب	دار الجيل . لبنان
٣٩	حياة يحيى	دار الجيل . لبنان
٤٠	حياة يونس	دار الجيل . لبنان

- **من سير شخصيات ذكرت فى القران**

٤١	حياة مريم	دار الجيل . لبنان
٤٢	حياة آسية امرأة فرعون	دار الجيل . لبنان
٤٣	حياة الخضر	دار الجيل . لبنان
٤٤	حياة أصحاب الكهف	دار الجيل . لبنان
٤٥	حياة أهل الجنة	دار الجيل . لبنان
	إصدار سابق للكتاب (معجزة القرآن في جنة الرضوان)	مكتبة الآداب
	إصدار سابق للكتاب (الحياة في الجنة)	دار المعرفة

- **من سير الصحابة**

٤٦	حياة أبى بكر	دار الجيل . لبنان
٤٧	حياة عمر	دار الجيل . لبنان
٤٨	حياة عثمان	دار الجيل . لبنان
٤٩	حياة الإمام على	دار الجيل . لبنان
٥٠	حياة بلال	دار الجيل . لبنان
٥١	حياة أبى هريرة	دار الجيل . لبنان
٥٢	حياة سعد بن معاذ	دار الجيل . لبنان
٥٣	حياة أبى ذر	دار الجيل . لبنان
٥٤	حياة مصعب بن عمير	دار الجيل . لبنان
٥٥	حياة سعد بن ابى وقاص	دار الجيل . لبنان
٥٦	حياة أبى عبيدة بن الجراح	دار الجيل . لبنان
٥٧	حياة خالد	دار الجيل . لبنان
٥٨	حياة عمرو بن العاص	دار الجيل . لبنان

٥٩	حياة سلمان الفارسي	دار الجيل . لبنان
٦٠	حياة عبد الله بن مسعود	دار الجيل . لبنان
٦١	حياة أبن عباس	دار الجيل . لبنان
٦٢	حياة أبن عمر	دار الجيل . لبنان
٦٣	حياة حمزة بن عبد المطلب	دار الجيل . لبنان
٦٤	حياة جعفر بن ابي طالب	دار الجيل . لبنان

- **من سير أمهات المؤمنين**

٦٥	حياة أم المؤمنين خديجة	دار الجيل . لبنان
٦٦	حياة عائشة أم المؤمنين	دار الجيل . لبنان

- **من سيرة اهل البيت**

٦٧	حياة فاطمة	دار الجيل . لبنان
٦٨	حياة الحسين	دار الجيل . لبنان

- **من سير أعلام التاريخ الإسلامي**

٦٩	حياة عمر بن عبدالعزيز	دار الجيل . لبنان
٧٠	حياة الإمام جلال الدين السيوطي	دار الجيل . لبنان
٧١	حياة سلطان العلماء العز بن عبد السلام	دار الجيل . لبنان
٧٢	حياة طارق بن زياد	دار الجيل . لبنان
٧٣	حياة صلاح الدين	دار الجيل . لبنان

- **سير منوعة**

٧٤	حياة الملك المظفر قطز	دار الجيل . لبنان
٧٥	حياة الملك الظاهر بيبرس	دار الجيل . لبنان
٧٦	حياة شجرة الدر	دار الجيل . لبنان
٧٧	حياة عمر المختار	دار الجيل . لبنان

- **تأملات إيمانية**

٧٨	إنى لأجد ريح يوسف	دار الجيل . لبنان/ دار الفكر
٧٩	من الظلمات الي النور	دار المعرفة
٨٠	يسألونك عن الروح	دار المعرفة
٨١	إذا البحار فُجرت	المكتبة العصرية
٨٢	ففهمناها	المكتبة العصرية
٨٣	مائدة من السماء	المكتبة العصرية
٨٤	ثم جعلنا الشمس عليه دليلًا	المكتبة العصرية
٨٥	وشاهد ومشهود	المكتبة العصرية
٨٦	ليس كمثله شيء	المكتبة العصرية
٨٧	ذو الجلال والاكرام	المكتبة العصرية
٨٨	يريدون وجهه	المكتبة العصرية
٨٩	هذا عطاؤنا	دار المعرفة
٩٠	فى ظلال و عيون	دار المعرفة
٩١	فأطعمناكموه	دار المعرفة
٩٢	المفاتيح العلى	دار المعرفة
٩٣	لستم على شيء	دار المعرفة

٩٤	فأسقيناكموه	دار المعرفة
٩٥	فلمَّا تجلى	دار المعرفة
٩٦	كؤوس الحب الإلهي	دار المعرفة
٩٧	بين يدي رحمته	دار المعرفة
٩٨	هذا الشيء العجيب	دار المعرفة
٩٩	على شاطئ البحر	دار المعرفة
١٠٠	ماينفع الناس	المكتبة العصرية
١٠١	بين الخضر و موسى (الحقيقة و الشريعة)	المكتبة العصرية
١٠٢	نقرة عصفور	المكتبة العصرية
١٠٣	إشعاعات الحج	المكتبة العصرية
١٠٤	لطائف التوحيد	المكتبة العصرية
١٠٥	سر المرأة	نهضة مصر

- **إصدارات حديثة (بعد رحيل الكاتب)**

تم إصدار النسخ الإليكترونية لهذه المجموعة بواسطة الأوصياء على النشر أبناء المؤلف

١٠٦	إنسانيات عمر	الأوصياء على النشر
١٠٧	منتخب الترغيب والترهيب	الأوصياء على النشر
١٠٨	الإسراء والمعراج	الأوصياء على النشر
١٠٩	الرحمة المكنونة في شعائر الله	الأوصياء على النشر
١١٠	تفسير أعظم الآيات	الأوصياء على النشر
١١١	وإن من شيء إلا يسبح بحمده	الأوصياء على النشر
١١٢	البكائين السبعة	الأوصياء على النشر
١١٣	الإنسان كما وصفه القرآن	الأوصياء على النشر

١١٤	حياة عبد الرحمن بن عوف	الأوصياء على النشر
١١٥	حياة الامام الحسن	الأوصياء على النشر
١١٦	المختار من الأذكار	الأوصياء على النشر
١١٧	حياة ابليس	الأوصياء على النشر
١١٨	حياة زيد بن حارثة	الأوصياء على النشر

- **تحت الإعداد للنشر**

١١٩	تفسير القرآن الكريم (ثلاثون جزء)	الأوصياء على النشر

اللهم ... منك ... وإليك

الكاتب هو المفكر الإسلامي المعاصر محمود شلبي، ولد في فبراير ١٩٢٢ وتوفي في يونيو ٢٠٠٦ تاركا وراءه أكثر من ١٥٠ مؤلفا نشر منها ما يزيد عن المائة تزخر بها المكتبات الإسلامية mahmoud-shalaby.com

ماذا في هذا الكتاب

لا شيء يشغل الإنسان أكثر من نفسه ... فهو يريد أن يعرف كل شيء عن تركيبه
الظاهر والباطن ... الجسد والروح .. .
ولقد حاول الإنسان على مر القرون أن يفسر: ما هو الإنسان ؟ !
إلا أنه لم يجد جوابا شافيا على سؤاله ... اللهم إلا آراء متناقضة يبطل بعضها بعضا !! !
فكيف السبيل إلى العثور على الإجابة الصحيحة على السؤال الخالد:
ما هو الإنسان ؟ !
ما حقيقته ... ما سر انفعالاته ... لماذا كان
الإنسان كفورًا ... لماذا كان يئوسًا قنوطًا ... لماذا إذا أنعم الله عليه أعرض ونأى ... وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ..؟! !

السبيل أن نسمع، وننصت إلى ما جاء في القرآن العظيم ... في وصف الإنسان .. .
لأن القرآن الكريم ... كلام الله المجيد ... لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. .
فإذا وصف القرآن الإنسان ... فقد جاء بالصدق. " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا "
وهذا الكتاب يدور في هذه الدائرة : ماذا قال القرآن عن الإنسان ؟!
فيه تحليل لشخصية كل إنسان ... التي هي تحليل لشخصيتك؟ !
كل أولئك كان في الكتاب مسطورًا ؟ !